المشرق

آذار ١٩٣٠

صفيّ القلب الاقدس ورسوله

نبذة في سيرة

الاب كلود دي لا كولومبيار اليسوعي

المطوَّب حديثاً

بقلم الاب شرل ايلا اليسوعيّ

لا مشاحة انَّ الآية الرسولية القائلة : « حيث كثرت الخطيئة هناك طفحت النعمة » (رومية ٥ : ٢٠) ، يجوز تطبيقها نوعاً ما على وصف عصرنا هذا ايضاً . ففيه بينا يتفاقم فساد البشر ، كذلك ينمي هبيب الروح القدس ، بين الرجال والنساء ، عدد المؤمنين الذين حمسوا فدأبوا في التعويض عن الاهانات اللاحقة بالقلب الالهي ، بل لم يتردّدوا في تقدمة ذواتهم ذبيحةً للمسيح.»

هذا ما سطّره الحبر الاعظم المالك سعيدًا في رسالته العامة« -Miserentissi.

mus Redemptor »[1] . والمعنى انه اذا كان الشرّ في ايامنا عظيماً فالخير اعظم . والفضل فيه راجع الى انتشار العبادة لقلب يسوع الاقدس . ذلك لان العناية الالهية ، على ما جاء في الرسالة المذكورة[2] « تبلغ من غاية الى غاية بالقوة وتدبّر كل شيء برفق » (حكمة ٨ : ١) فتأتي بالمعونة على قدر احتياجات الكنيسة واوفر .

ولم يكن شرقنا العزيز ليخرج عن هذه القاعدة . فان كانت الاضاليل العصرية والاوبئة الادبية قد تسرّبت اليه وانتشرت بين بنيه ، فلا شكّ ايضاً أنّ فيهم من طلائع الفضل والتقى والتفاني في سبيل الخير ما يسرّ كل قلب يغار على شرف الله. ولا حاجة الى وصف ما قام ولا يزال يقوم به من النهضات ابناء الكثلكة في هذه الامصار ، ولاسيما الشبيبة بينهم . فثمّة من المشاريع التقوية والرسولية من كل نوع ، ومن الجهاد والتضافر طلباً الى اعلاء المبادئ القويمة ودفاعاً عنها ، ما يعتزّ بهِ الدين ، ولم يشهده آباؤنا مع ما اتصفوا به من بساطة الايمان وطهر المسير . واكثره يعزوه الواقفون على داخلية الانفس الى ازدهار العبادة للقلب الاقدس فيها . وناهيك بما اصلحت وعمّرت في القرى اللبنانية جمعيات قلب يسوع للشبيبة .

فيهمّ اذن المسيحيين الشرقيين ، بل يلذّ لهم ، كشف النقاب عن اصل العبادة للقلب الالهي : كيف ، واين ، وعن يد مَن نشأت وانتشرت ؟

وفي مقدّمة الذين وكل اليهم المسيح الربّ بثّها في الافئدة ، القديسة مرغريتا مريم الاكوك ، ومرشدها الطوباوي كلود دي لا كولومبيار اليسوعي ، الذي لقّبهُ ، عزّ وجلّ ، باسم « عبده الامين وصديقهِ الكامل. » ورفعه على الهياكل بيوس الحادي عشر في ١٦ حزيران من العام المنصرم. وقد أحيت كليتنا في اواسط شباط الماضي احتفالات شائقة تذكاراً لتطويبه . فننتهز الفرصة لتلخيص سيرته ومساعيه في سبيل نشر العبادة المنشودة

---

١) *Acta ap. Sedis (1928, 1 J.mii) p. 176*

٢) *Loc. cit. pp. 165-166*

١

اساس العبادة للقلب الاقدس

في الاسفار المنزلة والتقليد

هذا وليس المراد بما سبق ان قلب يسوع كان، قبل مرغريتا مريم ودي لاكولومبيار، مجهولاً غير مكرّم بتاتاً من المسيحيين. معاذ الله! فان اصول العبادة له مثبتةٌ في الاسفار الالهية؛ ولها في التقليد الكاثوليكي، العريق في القدم، آثار جليلة.

فمن الانجيل نعلم ان المسيح، لاسمه السجود، هو اقنوم الهي واحد، له طبيعتان: الهية وانسانية، كاملتان غير منفصلتين وان غير ممتزجتين. فلناسوته اذاً، حيث يخص شخصاً الهيّاً، وبالتالي لقلبه، يحقّ الاكرام والتعبد الواجبان للّاهوت. واما كون قلبه خليقاً، ما بين سائر اجزاء ناسوته، باكرام خاصّ، فسببه انّ القلب، في عرف البشر من ايّ لسانٍ وصقع، يرمز الى داخلية المرء ولاسيا الى حبّه. وقد قالت الحكمة الازلية (امثال ٢٣ : ٢٦): «يا بنيَّ اعطني قلبك» وقال الربّ يسوع (مت ١١ : ٢٦): «تعلّموا مني اني وديع ومتواضع القلب.» ومن الاسفار المنزلة ايضاً نعلم انّ المسيح الاله، ليس فقط في جسده، بل في روحه البشرية وقلبه، تألم من آثامنا وفتورنا. فيتوق الى ان نعوّض له عن المرارات التي ذاقها، بمشاطرتنا لها. ففي البستان (مت ٢٦ : ٣٧-٤٠) «طفق يحزن ويكتئب» وقال لبطرس وابنَي زبدى: «نفسي حزينة حتى الموت فامكثوا ههنا واسهروا معي» ولبطرس ايضاً: «أهكذا لم تقدروا ان تسهروا معي ساعة واحدة.» وقد سبق داود وجعل على لسانه هذه الآية (مز ٦٨ : ٢١): «قد كسر قلبي العار (عار مآثمنا) والشقاء وانتظرتُ من يرثي فلم يكن، ومن يعزّي فلم اجد.»

ولك في الآيات المذكورة اساس العبادة للقلب الاقدس. وقد وصفها ارباب اللاهوت ومعلّمو السيرة الروحية بقولهم: انّ الغرض منها تكريم قلب يسوع من حيث هو رمزٌ حتي الى حبه لله والبشر، حبّاً قد طالما قابله الناس

بالفتور والسيئات والاهانات . فيقتضي حبًا يستفزّهم للتعويض والكفارة بنوع خاصّ .

وان سألت : من اين للربّ يسوع ان يتألم الآن ويطلب التعزية ، وهو جالس في النعيم عن يمين الآب ؟ اجاب بيوس الحادي عشر ، في رسالته المذكورة[1] ، ما ملخصه : ان الفادي كان في اثناء آلامه يرى المستقبل ليس بذهنه الالهي فحسب بل بذهنه البشري ، الذي به كان يعاين مواجهة الذات الالهية ، وفيها ، ألم نقل كلّ حقيقة على الاطلاق ، فقلّما يكون كلما تهتّهُ معرفته من الحقائق والوقائع . فكما انّ اهانات الاشرار وتقصيرات الفاترين ، في كل زمان ومكان ، كانت وقتئذٍ حاضرة مكشوفة امام عينيه ، تؤلم قلبه الاقدس ، كذلك تعويضات الانفس الحارّة كانت ، وان مستقبلةً ، ظاهرة لديه تعزّيه وتخفّف نوعاً وطأة الكآبة عنه .

وهذا ما حدا بعض القديسين ، حتى في اوائل النصرانية ، الى التعبد لقلبه الاقدس . وهل من نكير ان امّهُ العذراء الكلية البرارة كانت ، مع الملائكة ، في مقدّمة الذين سجدوا له اذ صُوّر في احشائها الطاهرة ؟ وذاك رسوله يوحنا الحبيب ، الذي اسند رأسه الى صدره مساء العشاء السرّي ، فاستقى من قلبه حكمة المحبة الالهية ، أفيكون ارسل الكلام جزافاً اذ وصف لنا في انجيله (يو ١٩ : ٣٣-٣٧) ما « عاين » هو عند الصليب « لمّا انتهى الجند الى يسوع ورأوه قد مات فلم يكسروا ساقيه . لكنّ واحداً من الجند فتح جنبه بحربة فخرج للوقت دمٌ وماء . » ولم يخفَ على بشير المحبة معنى هذا الجرح وقد رأى فيه تمام نبوّة زكريا (١٢ : ١٠) القائل : « سينظرون اليّ انا الذي طعنوه . » والآية في سفر النبي محكيّةٌ عن لسان الله فجعلها الانجيلي كلاماً عن يسوع قائلًا : « سينظرون الى الذي طعنوا » فيكون معناها ، على ما فهم يوحنا ، ان اليهود نظروا الى قلب يسوع الاله الذي طعنوا .

وقد طالما تنافس الآباء والقديسون ، من ترتليانوس الى برندوس

1) *Loc. cit pp.173-174*

وبوناونتورا وجرترودا وكاترين السينيّة وغيرهم ، فتغزلوا بذكر هذا الجرح. فرأوا فيه « باب الحياة من حيث تدفّقت لنا الاسرار وكل النعم »[1] المشار اليهما بالدم والماء ، وانما تدفّقت من حبه لنا وباستحقاقات آلامه . ومنهم من وجد في الجرح المذكور « مقرًّا للانفس تسكنه متمتعةً بالحرية والسلام »[2]. وما احسن ما قال القديس بوناونتورا في هذا الصدد[3] : « انما جُرح كيما نرى من وراء الجرح المنظور جرح حبه غير المنظور . وكيف يمكن هذا الحب المتقد ان يبرز لنا بنوع اجلى من ان يسمح ان يُطعَن بالحربة ليس الجسد فحسب بل القلب بذاته . فالجرح الجسدي يُظهر الروحي. ومن لا يُشغف بهذا القلب المجروح ؟ ومن لا يبادل كذا محبٍّ حبَّه ؟ ... »

على انّه قلّ من تكلّم عن القلب الالهي بمثل صراحة الذين ذكرناهم ودقّتهم . فلم تكن بعدُ العبادة له قد عمّت الكنيسة كلها . وعلى كل حالٍ لم تكن بعد قد عُيّنت الاعمال التقوية والتكفيرية التي شاء المخلص فأمر ان يُكرَمهُ بها عُبّادُه . وعلى ما صرّح الرسول يوحنا ، في رؤيا للقديسة جرترودا ، قد كان من تدابير العناية الربانية « ان تُحفظ هذه العبادة للازمنة الاخيرة ، حتى اذا ما مال العالم الى الزوال وبردت محبته لله ، فسمع القلبَ الاقدسَ يحدّثه بنبضاته العذبة البليغة ، يضطرم بلهيبه الحيّ . »[4]

ومن اعدّوا الطرق ، قُبيل القديسة مرغريتا مريم والطوباوي كلود دي لا كولومبيار ، لاذاعة رغائب القلب الالهي ونشر العبادة له ، القديسون فرنسيس سالس ، وحنّة دي شانتال ، ويوحنا اوديس (Eudes) وغيرهم . بل يُروى انّ القديس اغناطيوس دي لويولا ، الذي عاش في القرن السادس عشر ، كان يحمل صورةً للعذراء ، كُتبت عليها الصلاة الآتية ، وقد نسبها البعض

١) Augustinus, *Tract.* 120 *in Joann.*

٢) Bernardus, *Tract. de Passione, cap.* 3.

٣) Bonaventura, *de Vita mystica, cap.* 3.

٤) *Insinuations de la divine Piété ou la Vie et les Révélations de Ste Gertrude, Paris, Lecoffre. tome II, p.* 27.

اليه :« يا أمّ يسوع ، امّ القلب الصالح ، امنحيني قلباً على حسب قلبك وقلب ابنك الاعزّ سيدنا يسوع المسيح . »[١]

وانما ارتفعت العبادة للقلب الالهي ، كالشمس في الظهيرة ، وشرعت تضيء باشعتها العالم اجمع ، في عهد القديسة مرغريتا مريم والطوباوي كلود دي لاكولومبيار وبسعيهما.

٢

منشأ الطوباوي وفتوّته

وُلد كلود في ٢ شباط ١٦٤١ في سان سانفوريان دوزون (Saint-Symphorien d'Ozon) . وهي بلدة افرنسية صغيرة تابعة لمقاطعة الايزر (Isère)



البيت الذي وُلد فيه الطوباوي

الحالية ، وكان فيها ابوه ، برتران دي لاكولومبيار ، كاتباً للعدل. وكان كلود ثالث الاولاد السبعة الذين ولدتهم لابيه امّه ، مرغريت كويندا. منهم اثنان توفاهما الله صغيرين ، وواحد بقي في العالم . واماّ الاربعة الآخرون فوقفوا حياتهم

١) راجع Joseph Zelle, *Prêtre, Claude de la Colombière, premier apôtre du Sacré-Cœur*. Paray-le-Monial, Hiéron ou Musée Eucharistique, pp. 3-5.

للربّ في السلك الكهنوتي او الرهباني ، مما ينطق بفضل تربية ابويهم المسيحية الصميمة ، وبعناية القلب الالهي برسوله العتيد ، منذ نعومة اظفاره ، كما يؤهبه لمهمته المستقبلة . فالخبز الطيّب من الخميرة الصالحة .

ولما بلغ التاسعة من عمره ، انتقلت عائلته الى ليون . فتلقن فيها اصول العلوم اولًا بمدرسة سيدة النجدة الصالحة للآباء اليسوعيين ، الى ان ترعرع فلزم معهدهم الاكبر ، اي مدرسة الثالوث الاقدس ، حيث ختم دروسه الثانوية .

٣

مراحله الرهبانية الاولى

وفي ٢٥ تشرين الاول ١٦٥٨ ، دخل الرهبانية اليسوعية في دير الابتداء بأڤينيون . ومما اتصف به منذ إذٍ ، على ما يشهد مترجمه الاول في مقدّمة كتاب مواعظه ، دماثة الاخلاق ، ولين العريكة ، وتملّك الطبع ، والرزانة ، ودقّة النظر ، وسداد الرأي ، وروح الصلاة .

بقي كلود في اڤينيون ثمانية اعوام . فنذر النذور الاولى في ٢٦ تشرين الاول ١٦٦٠ . وكان قد شرع منذ بضعة ايام يدرس الفلسفة . ولما فرغ منها أُقيم استاذًا للصف الخامس . فتابع تلاميذه اربع سنوات ، يرتقي معهم من صف الى آخر اعلى ، حتى ختموا تحت اشرافه اصول البيان . وفي هذا برهانٌ واضح على توقد ذهنه ، وطول باعه في الآداب وفن التعليم .

وهي مقدرته هذه التي حملت الرؤساء على تعيينه عام ١٦٦٦ في مدرسة كليرمون الشهيرة بباريس ، معلمًا خاصًا لابنَي كولبير ، وزير الملك لويس الرابع عشر . وكان في الوقت ذاته يدرس اللاهوت . وظلّ مدّة طويلة يواصل الاعتناء بالفتيَين . وكان ابوهما يجلّه ويعزّه ويثق به ، الى ان انقلب وغضب عليه لسبب طفيف . فاضطرّ الرؤساء الى ابعاده عن باريس . وانما دبّرت الامر العناية الربانية ، التي شاءت ان تجرّد قلبه من كل مجد عالميّ فيكون بتمامه للمسيح .

وكان قد سيم كاهنًا في ٦ نيسان ١٦٦٩ . فعاد في السنة التالية الى معهد الثالوث الاقدس بليون ، حيث كان تلميذًا قبل انخراطه في سلك الرهبانية .

ثمّة درّس الخطابة ثلاثة اعوام (١٦٧٠–١٦٧٣) وكان في الوقت ذاتـه مرشد اخوية العذراء لتلاميذه.

وفي السنة الرابعة عُيّن واعظاً في كنيسة المـدرسة ، حيث كان ، في ايام الآحاد والاعياد ، يتهافت جمهورٌ من نخبة القوم واذكاهم على استماع ارشاداته البليغة ، وقد بدا بها ليس خطيباً مصقعاً فحسب ، بل رسولاً مضطرمـاً بحب الله والانفس ، حتى ذاع صيته في المدينة فكثيراً مـا كانوا يطلبونه لالقـاء الوعظ في سائر الكنائس . ومن اقواله في عظةٍ قرّظ بها القديس بوناونتورا ، عبارة أثرها عن القديس فرنسيس سالس قال : « احبّ اليّ ان اكون ساروفيـاً من ان اكون ملاكاً : ان يكون علمي اخفّ وحبي لله اشدّ . »

وكأني به اذ ذاك تنبأ عن المهمة الساروفيمية التي لا ينقضي زمن طويل الّا وتُلقى عليـه ، وعلى القديسة مرغريتا مريم . فكلاهما ملاكا المحبة الالهية ، وعن قليل سيكل الربّ يسوع اليهما ان ينثرا في العالم درر قلبه الاقدس. فتلبث هي متروية في الهيكل خارةً عند ركبتي المخلّص لتلتقطها من فمـه ، وينبري ، هو الكاهن الرسول ، لينثرها بين البشر ويضرمَ بلهيب العبـادة المقدّسة شفاه غيره من المبشرين . فلم يبقَ عليه ، قبـل ان يستلم المهمة التي اصطفاه لها الله ، الّا ان يجتـاز مرحلة الاستعداد القريب لهـا ، وهي مرحلة « الامتحان الرهباني الثالث » ، وفيه خصوصاً « الرياضة الروحية الكبرى »

٤

الامتحان الرهباني الثالث والرياضة الكبرى

مما يفرضه القديس اغناطيوس على بنيه ، بعد الدروس والكهنوت وقبل النذور الاخيرة الكبرى ، « الامتحان الثالث » (*3e probation*) . وقد دُعي ثالثاً لانـه يسبقه امتحانان هما : الطالبية (*La postulance*) ، والابتـداء (*Le noviciat*).

والغرض من الامتحان الثالث هو تكملة اختبار الراهب وتثقيفـه على حسب روح دعوته . وقد وصفه القديس اغناطيوس ، في كتاب تأسيساتـه ، بكلمة وجيزة عميقـة المعنى قال: هو « مدرسة عاطفية » « *Scola affectus* ».

ولا جرم فان الدروس ، التي تستغرق في الرهبانية سنين طويلة ، قد ينشأ عنها بعض اليبوسة في الروح . فيعود الراهب بعدها ، تحت اشراف استاذ ذي خبرة طويلة في الروحيات ، الى التمارين التي مارسها في سنتي الابتداء ، مما يوطّد في نفسه عاطفة الحبّ الصادق لله .

ففي تموز ١٦٧٤ ، انتقل الاب كاود من معهد الثالوث الاقدس بليون الى دير القديس يوسف ، الذي كان في المدينة عينها مخصّصاً للامتحان الثالث .

ومن اهم ما ينصرف اليه الراهب في اثناء الاختبار المذكور « الرياضة الكبرى » التي تدوم ثلاثين يوماً كاملاً ، يتفرّغ فيها للاختلاء التام بالله تعالى ، ولاسيما للتأمل والصلوة العقلية خمس ساعات كل يوم ، حسب طريقة القديس اغناطيوس في كتاب رياضاته الروحية . وقد طالما امتدح الطريقة المذكورة الاحبار الرومانيون ، منهم بيوس الحادي عشر المالك سعيداً ، كما ترى في رسالته العامة الحديثة « *Mens nostra* » المؤرّخة في ٢٠ كانون الاول ١٩٢٩ .

وقد دوّن الاب كلود في دفتر خاص ما جال في ذهنه من الخواطر ، وما الهمه الله تعالى من المقاصد في تأملاته . وقد طُبع مخطوطه لاول مرّة في ليون سنة ١٦٨٤ ، اي نحو عامين بعد وفاته . وهو يتضمّن ، علاوةً على رياضة الاب الكبرى ، بعض تأملات عقبتها ، كما ورياضة اخرى له ايضاً في لندرة سنة ١٦٧٧ . ولدينا نسخة منه طبعت في غرنوبل سنة ١٩٠٢[1] فالى صفحاتها نحيل القارئ عند الاقتضاء .

ولا يخفى ما لهذا الأثر من الشأن في تعريف طوباوينا ، اذ به نستطيع استطلاع داخليته ، وما المرء الّا بما في قلبه ، وبه ايضاً تتجلى الخطة التي نهجها له الروح القدس كيما يُعدّه للعمل الرسولي الخطير الذي اصطفاه له .

---

(1) *Retraites spirituelles du* V. Père Claude de la Colombière, *Grenoble, Imprimerie Notre-Dame, Rue des Dauphins,* 5.– *XXVII, 157 pp.* وقد اعيد طبعه حديثاً بسعي ادارة رسالة الصلاة في تولوز *Bureaux de l'Apostolat de la Prière, Toulouse, 9, rue Montplaisir. c/c 593.*

واول مـا يلفت نظر قارئ الكتيب نشاط المرتاض وشهـامته . قال (ص ١) :

« ابتدأت ، على ما يظهر لي ، برغبة صميمة ، بنعمة الله ، ان انقاد لكل الهامـات الروح القدس . فاقلع عن كل علاقة تجعلني اتردّد في ان أكون تاماً له عزّ وجلّ . فقـد عزمتُ ان احتمل من اجله جميع ضروب اليبوسة الروحية والكآبة الباطنية . »

والاستعداد الموصوف هو اول ما يطلبه من المرتاض معلّمو السيرة الروحية ولاسيما القديس اغناطيوس[١] . فلا عجب اذا كان الطوباوي استفاد كثيراً من رياضته الكبرى .

وفعلاً انّ من يقابل ما جاء في الكتيب المذكور ، بما رواه الثقات من معاصري الطوباوي عن فضائله ، لا يشك لحظة ان رياضته الكبرى ، في دير القديس يوسف بليون ، كانت من اقوى عوامل النعمة الالهية لتقديسه .

القداسة ، ويقال لها ايضاً الكمال المسيحي ، هي حب الله الذي يصلنا به تعالى ويجعلنا ثابتين فيه ، نحيا بحياته ونمتصّها نوعاً ما من لبابه ، عملاً بقوله عزّ وجلّ (يو ١٥ : ١-٩) : « انا الكرمة وانتم الاغصـان ... أثبتوا فيَّ وانا فيكم ... اثبتوا في محبتي . »

على انّ حياة المحبة هذه ، ما دمنـا على الارض ، لا تنحصر في الشعور والعاطفة ، مهما احتدمت في الجنان . فالقداسة هي حالة ثابتة او ، قلّما يكون ، تميل بالمرء الى الثبات . فلا بدّ لرائدها من الدوام . والعاطفة لا يدوم الشعور بها الّا في السماء . واما في هذه الدنيا فرائد الحياة الالهية بالمحبـة هو العمل بمشيئة الرب ، وقبل كل شيء الموت الدائم عن اميال الطبيعة السـافـلة ، اي اماتة الانانية .

هذا هو تعليم القديس بولس الرسول حيث يقول (كول ٣ : ١-١٤) : « ان كنتم قد قمتم مع المسيح (لحياة انفسكم بالله) فابتغوا ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . افطنوا لما هو فوق لا لما هو على الارض . فانكم قـد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله . ومتى ظهر المسيح الذي هو حياتنا

١) راجع التنبيه الخامس في رياضاته الروحية .

فانتم ايضاً تظهرون معه في المجد . فأميتوا اعضاءكم التي على الارض . . .
اخلعوا الانسان العتيق مع اعماله والبسوا الانسان الجديد . . . البسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين احشاء الرحمة واللطف والتواضع . . . وفوق جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال . »

وهذه هي القاعدة التي وضعها الاب كاود لذاته في رياضته الكبرى ، وقد جرى عليها حتى آخر نسمة من حياته.

ومن ثمّ الحرب العوان التي اصلاها لميله الى المجد الباطل . قال (ص٢٨) :

« طوبى للمساكين بالروح وللودعاء ولانقياء القلوب . . . وقد فهمتُ حسناً ان السعداء هم الذين تجرّدوا من كل شيء واقتلعوا من قلبهم حتى الاميال الفاسدة . على اني تأكدتُ اني بعيد للغاية عن هذه الحالة فقد شعرتُ . . . انّ الميل الى المجد الباطل يكاد لا يزال في قلبي بنفس الشدّة التي كانت له فيّ من ذي قبلُ ، وان تغير مفاعيله اذ ذاك ، بل وان كنتُ اردّ كرّاته عليّ . »

وايضاً (ص ٣١) :

« تحققتُ ان النقيصة السائدة فيّ هي المجد الباطل . فعقدتُ نية ثابتة ألّا أهمل واحدةً من الاهانات التي يمكنني تحصيلها بدون مخالفة القانون ، وان اقبل كل التي تعرض لي من ذاتها »

ومن آفات الغيرة الرسولية في الراهب الكاهن التعلّق بالخلائق الى حدّ الافراط . فمن صديق تخشى لومه او استهزاءه فتهمل الواجب ، وان خفيفاً ، بداعي الحياء البشري ، ومن خليل تودّه مودّةً ، قد تكون في حدّ ذاتها خاليةً من الغش ، الّا انها طبيعية ليست لمجرّد حب الله ومجده ، فتشغل في قلبك محلّاً كان الاجدر ان يكون بتمامه له وحده تعالى . وقد صدقت عزيمة رجل الله على محاربة هذه النزعات . قال (ص ٢٢) يتأمل في قول الصبي يسوع (لو ٢ : ٤٠) « ينبغي لي ان اكون فيما هو لأبي » :

« هب المسكونة كلها تنتفض عليّ ، تهزأ بي او تشكّى مني او تلومني ، فلا بدّ لي ان اعمل كل ما يأمرني الله ، كلّ ما يلهمني لمجده الاعظم . فقد وعدتُ هذا ، واني آمل ان افي بالوعد بنعمته تعالى . والامر يقتضي سهراً عظيماً . والّا فينفسح المجال سهلاً للحياء البشري الى مباغتة المرء ، ولاسيما اذا كان ضعيفاً مثلي »

ومما قال في حبّ الاصدقاء (ص ١٢١—١٢٢) :

« اراني ميالاً الى الاقتداء بساطة الله ، وذلك اولاً بمواطني ، بان لا احبّ الاّ الله وحده . . . والامر سهل لاني اجد فيه تعالى كل ما يمكنني ان احبّ في غيره . . . واما اصدقائي فهم يعزّونني وانا أعزّهم . وانك ترى هذا وانا اشعر به يا الهي ، انت وحدك الصالح ، انت وحدك الخليق ان يُحبّ . فهل يجب ان اضحّي جم لانك تبتغيني بكليتي لك ؟ واني لاضحّينّ لك هذه الضحية وهي تعزّ عليّ أكثر من تلك التي قدّمتها لك يوم تركتُ ابي وامي . فها إني ارفع اليك هذه الذبيحة ، وارفعها عن طيبة خاطر ، حيث حرّمت عليّ ان اجعل لايّ خليقة حصّة من صداقتي لك . . . »

« ومن انجع الوسائط لتحرير القلب من كل شيء ، تغيير المسكن والوظيفة غالباً . فان الانسان يتعلّق ، بدون ما يشعر ، بمكان قد تأصّل فيه ، كما يبان من الالم الذي يعانيه عند الفراق . فكأنه يموتُ نوعاً اذا ما انتزح عن ديار كان قد اضحى فيها معروفاً وله فيها بعض الخلاّن . ومما يمكّنني دائماً ان احتمل الفراق هذا بدون ما اضطراب ، الاعتبار أنّ الله يرافقني في كل موضع ، واني ، حيثما اتوجّه ، اجد الرب عينه . »

ولم يكن الطوباوي ليجهل حَرَج الطريق الذي خطّه لذاته . فهو عالم بضعفه يُقرّ انه احياناً « بينا يخال نفسه في مأمن من حيل الانانية فاذا به يراها تباغته وتهزأ به » (ص ١١١) . واذا استثنينا العذراء مريم فايّ قديس سلم من مباغتات الطبيعة الضعيفة الى حد ألاّ تغالته ، عن غير تحرٍّ تامّ منه ، هفوة بل هفوات[١] .

ومن انجع الوسائط التي تذرّع بها رجل الله ، ابتغاء للثبات في مقاصده ، نذرٌ خاص وعد الله به ان يحفظ كل قوانين رهبانيته . ومعلوم انها في حدّ ذاتها ، وبقطع النظر عمّا لبعضها من الصلة الجوهرية بالنذور الرهبانية او بالشرائع الالهية والكنسية ، لا تُلزم تحت طائلة الخطيئة .

ولدينا صورة عهده هذا مثبتةً في كتيّب « الرياضة الكبرى » (ص ٣٤— ٤٦) . وناهيك بما ثمّة من الاساليب المنظّمة لقمع الاميال المنحرفة فتكاد لا يبقى لها منفذ ، ومن طرق تجريد النفس وصلبها عن العالم كيما تتفرّغ لحب خالقها وخدمته ، مما يذكّر بقول احد معلّمي السيرة الروحية ومعناه : انّ الشهيد لا يلبث ان ينتهي عذابه بالموت . واما الراهب الحقيقي فاستشهاده متواصل بدوم طيلة حياته .

---

١) راجع المجمع المسكوني التريدنتيني ، الجلسة السادسة ، القانون ٢٣

وقال المؤلف الاول لترجمة الاب كلود في مقدّمة مجموعة مواعظه : « لم يشعر عبدالله بعد نذره انه في ضيق اشدّ من ذي قبل[1]. لم يعتره قطّ وسواس في شأن السنن الشديدة التي كان قد وضعها لنفسه . ويشهد ايضاً الذين عاشوا معه وعلموا بعد وفاته ما كان قد نذر ، انهم لم يروه ابدًا يُخلف بوعده حتى في الصغائر.»

٥

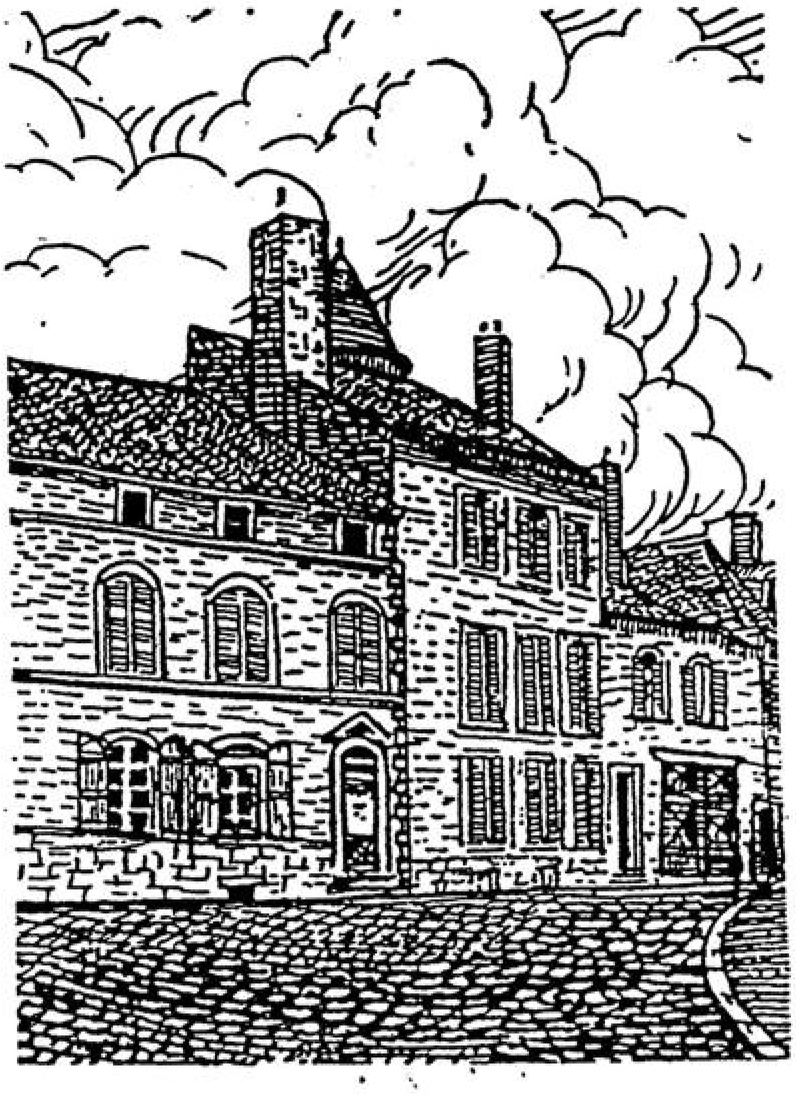
مرشد القديسة مرغريتا مريم

ان من يعتبر مناقب الاب كلود وفضائله ، وما تقلّد الى الآن من المهامّ وما احرز فيها من النجاح ، قد يخال انه لا يلبث ان يُعيَّن لمركز رفيع في رهبانيته ، فيُرسل مثلًا الى احدى العواصم ، حيث يكون كالسراج على المنارة ، ليستضيء به وجوه القوم ونخبتهم.

على انّ « افكار العناية الالهية ليست افكارنا وطرقها ليست طرقنا وكما علت السماوات عن الارض كذلك طرق الربّ علت عن طرقنا وافكاره عن افكارنا » (اشعيا ٥٥ : ٨-٩) . فما فرغ الطوباوي من امتحانه الثالث ولفظ في ٢ شباط ١٦٧٥ ، النذور الرهبانية الاخيرة الاحتفالية ، إلّا بُعث الى باراي لي مونيال (*Paray-le-Monial*) ؛ وهي من اصغر مدن فرنسة. فأقيم رئيساً فيها على احقر دير من اقليمه . ولا غرو فثمّة كانت تنتظره العناية الربّانية ، وفي نظرها الالهي لم يكن امتحانه الثالث ورياضته الكبرى الّا استعدادًا قريباً للمهامّ التي كان عتيدًا ان يقوم بها من قِبَلها في تلك الديار . ثمّة كان ينتظره قلب يسوع ، ثمّة كانت القديسة مرغريتا مريم تنتظره من قبل ان تعرفه فلا يعتّم كلاهما ان يكونا « شاهدَي الربّ » لاذاعة آيات حبه « والمنارتين القائمتين امامه » ليُضيئا المسكونة (رؤيا ١١ : ٤)

ولما وصلَ الطوباوي الى باراي كانت فيها القديسة مرغريتا مريم ، بدير زيارة العذراء الذي دخلته منذ اربع سنوات ، تجتاز ازمة روحية شديدة . فمن

١) راجع رياضته المذكورة ، ص ١٣٧



دير الآباء اليسوعيين في باراي في عهد رئاسة الطوباوي

جهة كان يسوع قد ظهر لها مرارًا بل ما زال يواصل محادثاته لها عن قلبه الاقدس . ومن جهة أخرى كانت اخواتها الراهبات يهزأن بتعبدها ويعدُدْنه ضرباً من البدع ، ومرشد اعترافها ورئيستها يرتابان في امرها ويتردّدان فيه ، أيعزوانه الى الروح الصالح ام الشرّير . ومن ثمّ ما كانت تعانيه من الغصص والحصر تلك الراهبة الورعة الخاضعة ، حيث تشعر بنفسها ، كأنها اضحت تتنازعها الطاعة المقدسة من ناحية ، وربُّ الطاعة يسوعُ من ناحية اخرى.

قالت هي في كتاب سيرتها ، الذي دوّنته بامر رؤسائها :

« بينا انا في الاكدار والمخاوف . . . أُمرتُ ان احدّث بعض اشخاص من ذوي العلم . على انهم لم يسكّنوا روعي في شأن خطتي بل زادوا ايضاً في اكداري . الى ان أرسل هنا سيدنا يسوع المسيح الاب دي لاكولومبيار . . . وكان ربي وسيدي ، بعد تكريسي له بشطر من الزمن ، قد وعدني ان يبعث اليّ عبدًا له ، يرغب عزّ وجل ان اكشف له ، على حسب الفهم الذي يعطيني ، كلّ ما سلمني من كنوز قلبه واسراره ، لانه يبعثه اليّ كيما يُثبّتني في منهجه ، ويمنّ عليه بنعم عطية من قلبه الاقدس ، الذي يعطلها علينا مدرارًا في محادثاتنا .

« ولما جاء هنا هذا الرجل البار ، بينا كان يخطب في جماعة الدير ، سمعتُ باطناً هذه الكلمات : « هوذا الذي ارسله اليك . » وقد ذقت الامر في اعترافي الاول له بالازمنة الاربعة (١ . فانه ، وان نكن من قبل تراثينا ولا تحادثنا ، تبقّاني طويلًا وكلّمني كأنه فهم كلّ ما كان يجري فيّ . على اني لم اشأ هذه المرّة ان ابوح له بشيء . واذ رآني هممت بالانصراف سألني هل استنسب ان يعود يواجهني . . . فاجبته اني . . . فاعلة ما تأمرني به الطاعة . . . »

« وبعد زمن يسير رجع وبالرغم من تيقّني ان الله يريد ان اكلّمه ، شعرتُ بكره هائل حين آن وقت المواجهة . واول ما بيّنتُ له هذا الكره . فاجابني معربًا عن سروره لكونه جعل لي فرصةً ان اقدّم ذبيحة لله . واذ ذاك بدون ما مشقّة ولا كلف فتحت له قلبي وكشفت له عن سرائر نفسي خيرها وشرّها . فعزّاني كثيرًا مؤكدًا لي انه لا بأس عليّ من ان انقاد لذاك الروح ، ولاسيما لانه لا يخرجني عن الطاعة . . . واذ ذكرتُ له شيئاً من ضروب التودد التي يبديها لي الربّ حبيب نفسي ، قال : انّ لك في هذا كله ، ما يدفعك شديدًا الى احتقار ذاتك ، ولي ما يحملني على الاعجاب بمراحم الله العظيمة نحوك .

« على انّ الجودة الالهية أبت ان احظى بتعزية واحدة ، ما لم اتكلّف من اجلها اهانات عديدة . وقد جلبت عليّ منها كثيرًا المواجهة الموصوفة ، بل اقتضى الامر ان يتحمّلَ الاب عينه عناء كبيرًا من اجلي ، حيث كانوا يقولون اني اريدُ ان اضلّله بغروري كما اغويتُ غيره . . . على انه لم يمتنع من مواصلتي بعونه طيلة اقامته القصيرة في هذه المدينة كما ودائمًا . . . ومع ذلك لم يألُ جهدًا في الوضع من قدري وتذليلي . . . » (٢

(للبحث صلة)

---

١) من مراسيم الحق القانوني ان يُعيّن للراهبات في صوم الازمنة الاربعة مرشد للاعتراف ، غير الاعتيادي . فيدعى مرشدًا خارق العادة . وبهذه الصفة اتى الطوباوي الى دير الزيارة .

٢) *Vie et Œuvres de la* Bienheureuse Marguerite-Marie Alacoque, *Paris, Poussielgue, tome II. pp.* 345-347.

غرائب الارقام الهندية

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

اثبتنا في «المشرق»، في عدد كانون الثاني من هذه السنة، مقالة عن غرائب الإرقام الهندية راقت في نظر القراء. وقد اطلعنا في المجلة الفرنسية «الطبيعة» La Nature في العدد ٢٨٢٣ على تعليل للغريبة الاولى احببنا ان نزفه الى قرائنا مع اضافة بعض الشروح.

قالت المجلة الفرنسية، بامضاء المسيو تيبو E. Thibout :

لا نجد في العدد ١٤٢٨٥٧ وفي ثبات ارقامه وترتيبها شيئاً من الغرابة اذا ضربناه بالارقام ٢ او ٣ او ٤ او ٥ او ٦، ولا غرابة ان يكون الحاصل ست تسعات اذا ضربناه بالرقم ٧

اذا قسمنا هذا العدد ١٤٢٨٥٧ الى شطرين متساويين: الواحد ١٤٢ والآخر ٨٥٧ وجدنا ان مجموع الرقم الذي هو في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع رقم اعلى مرتبة في الشطر الآخر يساوي ٩، وكذلك في ارقام المرتبتين الاخريين:

١ + ٨ = ٩   ٤ + ٥ = ٩   ٢ + ٧ = ٩

فالعدد ١٤٢٨٥٧ هو دور الكسر العشري المساوي للكسر الدارج ١٤٢٨٥٧/٩٩٩٩٩٩ ومعلوم ان هذا الكسر الدارج يساوي ١/٧ لان ٩٩٩٩٩٩ | ١٤٢٨٥٧ ـــ ٧

فاذا ضربنا ١٤٢٨٥٧ بالرقم ٧ كان الحاصل ٩٩٩٩٩٩، وهكذا يُعلَّل الجزء الثاني من الغريبة الاولى.

ثم اذا حولنا الكسر الدارج ١/٧ الى كسر عشري، وجدنا ان كلّا من البواقي الجزئية هو انقص من الرقم ٧، واليك العملية :

```
١ |٧
  ٠,١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ...
١٠
 ٣٠
  ٢٠
   ٦٠
    ٤٠
     ٥٠
      ١٠
       ٣٠
        ٢٠
         ....
```

فالباقي الجزئي الاول هو ٣ والثاني ٢ والثالث ٦ والرابع ٤ والخامس ٥ ثم يعود الدور اذا تابعنا القسمة الى ما لا نهاية له. فترى ان كلًا من البواقي الجزئية هو انقص من ٧ . فاذا حوّلنا الكسور الدارجة ٢/٧ ؛ ٣/٧ ؛ ٤/٧ ؛ ٥/٧ ؛ ٦/٧ الى كسور عشرية كان كلٌ من الاعداد المقسومة ٣٠ ٢٠ ٦٠ ٤٠ ٥٠ مساوياً لاحد المقسومين الجزئيين في القسمة السابقة . ومن ثم لا بد من ان يكون في ارقام الخارج الارقام ذاتها ١٤٢٨٥٢ لكن مختلفة الترتيب :

٢ | ٧	٣ | ٧	٤ | ٧	٥ | ٧	٦ | ٧
٢٠ ٠,٢٨٥٧١٤	٣٠ ٠,٤٢٨٥٧١	٤٠ ٠,٥٧١٤٢٨	٥٠ ٠,٧١٤٢٨٥	٦٠ ٠,٨٥٧١٤٢
٦٠	٢٠	٥٠	١٠	٤٠
٤٠	٦٠	١٠	٣٠	٥٠
٥٠	٤٠	٣٠	٢٠	١٠
١٠	٥٠	٢٠	٦٠	٣٠
٣٠	١٠	٦٠	٤٠	٢٠
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠
.....	.....	.....	.....	.....

فاذا ضربنا العدد ١٤٢٨٥٧ بالرقم ٢ كان الحاصل ٢٨٥٧١٤ ؛ وان بالرقم ٣ كان الحاصل ٤٢٨٥٧١ ، وان بالرقم ٤ كان الحاصل ٥٧١٤٢٨ ؛ وان بالرقم

٥ كان الحاصل ٧١٤٢٨٥ ؛ وان بالرقم ٦ كان الحاصل ٨٥٧١٤٣ . فارقام الحواصل هي ذاتها لكن مختلفة الترتيب . وهكذا يعلل الجزء الاول من الغرابة الاولى . وليس ثمّ غرابة بل عملية حسابية بسيطة

وهذا ليس خاصاً بالكسر $\frac{١}{٧}$ ، لكن يجري على كل كسر تتم فيه الشروط ذاتها . مثلاً $\frac{١}{١٧}$ فانّ دور الكسر العشري المساوي لهذا الكسر الدارج هو :

٠,٠٥٨٨٢٣٥٢٩٤١١٧٦٤٧

فاذا قسمنا هذا العدد الى شطرين متساويين احدهما ٠٥٨٨٢٣٥٢ ، والآخر ٩٤١١٧٦٤٧ فان الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع رقم اعلى مرتبة في الشطر الآخر يجمعان على ٩ ، وهلمّ جرّاً في سائر الارقام بالتتابع كما يلي :

٠ + ٩ = ٩ ٥ + ٤ = ٩ ٨ + ١ = ٩ ٨ + ١ = ٩

٧ + ٢ = ٩ ٦ + ٣ = ٩ ٤ + ٥ = ٩ ٧ + ٢ = ٩

فاذا ضربنا هذا الكسر العشري ٠٥٨٨٢٣٥٢٩٤١١٧٦٤٧ بأحد الارقام من ٢ الى ١٦ كانت ارقام الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب ، لكنها مختلفة الترتيب . واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩ . واذا ضربنا الكسر العشري بالعدد ١٧ كانت ارقام الحاصل كلّها تسعات اي ست عشرة تسعة

والكسر الدارج $\frac{١}{١٩}$ يساوي الكسر العشري ٠,٠٥٢٦٣١٥٧٨٩٤٧٣٦٨٤٢١ . فاذا قسمنا هذا الكسر العشري شطرين ٠٥٢٦٣١٥٧٨ ثم ٩٤٧٣٦٨٤٢١ ، فان الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الواحد مع الرقم في اعلى مرتبة في الشطر الآخر يساوي ٩ ، وكذلك سائر الارقام بالتتابع في كلا الشطرين . فاذا ضربنا هذا الكسر العشري باحد الارقام من ٢ الى ١٨ كانت ارقام الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب لكن مختلفة الترتيب . واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩ وان ضربنا الكسر العشري بالعدد ١٩ كان الحاصل مؤلفاً من ١٨ تسعة .

والكسر الدارج $\frac{١}{٢٣}$ يساوي العشري : ٠,٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣

فاذا قسمناهُ شطرين متساويين ٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦ ثم ٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣ نجد فيه ما وجدناه في الامثلة السابقة . فاذا ضربناه باحد الارقام من ٢ الى ٢٢ كانت الارقام في جميع الحواصل هي ذاتها كما في العدد المضروب ، لكن مختلفة الترتيب. واذا قسمنا كلًّا من هذه الحواصل الى شطرين متساويين كان مجموع كل رقمين متوازيين في المرتبة يساوي ٩. واذا ضربنا هذا الكسر العشري بالعدد ٢٣ كانت ارقام الحاصل اثنتين وعشرين تسعة. مثلًا:

٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣		٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣
٢	وايضاً :	٣
٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣٠٤٣٤٧٨٢٦		١٣٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩

وهلمَّ جرًّا في ضرب العدد المذكور بالارقام ٤ او ٥ او ٦ الخ الى العدد ٢٢ واذا ضربته بالعدد ٢٣ كانت الارقام في الحاصل اثنتين وعشرين ٩.

٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣
٢٣
―――――――――
١٣٠٤٣٤٧٨٢٦٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩
٠٨٦٩٥٦٥٢١٧٣٩١٣٠٤٣٤٧٨٢٦
―――――――――
٠٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩

ويمكننا ان نبين هذه الحقيقة ايضاً في الكسر الدارج $\frac{١}{٢٩}$ وفي ما يساويه من الكسر العشري الذي هو ٠,٠٣٤٤٨٢٧٥٨٦٢٠٦٨٩٦٥٥١٧٢٤١٣٧٩٣١

النتيجة هي انه ليس ههنا الا عملية حسابية.

واليك الآن بعض عمليات تظهر لك غريبة في نظام الارقام :

١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ = ١٦٠٤٣ × ٧٦٩٢٣٠٧٧
١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ = ٥٧٨٣٦٩ × ٢١٣٣٥٨٦
١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ = ١٦٤١٣٣ × ٧٥١٨٧٩٧
١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ = ١٧٦٤٦٣ × ٦٩٩٣٠٠٧

واليك عمليات ليست اقلَّ غرابةً :

تصحيح غلط : الصفحة ١٨٠ سطر ١ و ٣ ضع ٢٣١ بدل ٢٢١٠ و ٢٥٢ بدل ٢٥٢٠

١٢٣ ١٢٣ ١٢٣ ١٢٣ = ٢٣١٠ × ٥٣٣٠٠٠٥٣٣
٣٢٤ ٣٢٤ ٣٢٤ ٣٢٤ = ١٣٨٦ × ١٦٩٠٠٠١٦٩
١٢١ ٢١٢ ١٢١ ٢١٢ = ٢٥٢٠ × ٤٨١٠٠٠٤٨١

فكيف نعلل هذه الغرائب ؟

خذ عاملين احدهما غريب مثلاً ١٠٠٠٠٠٠٠١ وعاملاً آخر مثلاً ١٢٣٤ فمن الواضح اننا اذا ضربنا هذين العاملين كان الحاصل ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ فاذا حللنا كلًّا من عاملي هذا الضرب الى عوامل اصغر وجدنا :

١٠٠٠٠٠٠٠١ = ٧ × ١١ × ١٣ × ١٩ × ٥٢٥٧٩ ، وان حللنا العامل الثاني ١٢٣٤ الى عوامل اصغر وجدنا ١٢٣٤ = ٢ × ٦١٧ فلدينا سبعة عوامل جزئية يمكننا ان نؤلف منها ٦٣ عملية ضرب يختلف في كل منها عدد العوامل او نوعها لا ترتيبها فقط ، فتعطينا كلها الحاصل ذاته ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ مثلاً ٧ × ١١ = ٧٧ فهذا الحاصل هو عامل اول. ثم :

١٣ × ١٩ × ٥٢٥٧٩ × ٢ × ٦١٧ = ١٦٠٢٥٩٧٤٠٤٢

فهذا الحاصل ١٦٠٢٥٩٧٤٠٤٢ هو عامل ثانٍ . فاذا ضربنا هذا العامل الاخير بالعامل ٧٧ كان الحاصل ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ .

واليك مثلاً آخر ١٩ × ١٣ = ٢٤٧ هذا عامل اول لعملية ضرب . اما العامل الثاني فهو ٧ × ١١ × ٥٢٥٧٩ × ٢ × ٦١٧ = ٤٩٩٥٩٥١٤٢٢ فقد ألّفنا من سبعة عوامل جزئية عاملين. فاذا ضربنا الواحد بالآخر كان الحاصل

٢٤٧ × ٤٩٩٥٩٥١٤٢٢ = ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤ .

ويمكننا ان نركب من العوامل الجزئية المذكورة ثلاثاً وستين عملية ضرب مختلفة العوامل يكون الحاصل فيها كلها هذا العدد ١٢٣٤٠٠٠٠٠١٢٣٤

فلو افترضنا شخصاً غير مطّلع على الطريقة التي شرحناها ، ورأى ثلاثاً وستين عملية ضرب مختلفة العوامل تُعطي الحاصل ذاته ، استغرب ذلك ؛ وليس ثمَّ ما يُستغرب

الاوائل في اللغة

بقلم سالم خليل رزق

١

الاول ضدّ الآخر . قال في « اقرب الموارد » : « اصلُهُ أوأل ، مهموز الاوسط ، قُلبت الهمزة واوًا وأُدغم ؛ يدلّ على ذلك قولهم : هذا اوّل منك . ج . الاوائل والاوالي . وهو اذا جعلته صفة لم تصرفه ، تقول : لقيته عاماً اول ، واذا لم تجعله صفة صرفته كقوله : ما رأيت له اولًا ولا آخرًا ، وجاز عام الاول بالتعريف والاضافة ، وتقول : ما رأيته مذ عامٌ اولُ ، ومذ عامٌ اوّلَ . فمن رفع الاول جعله صفة لعام ، ومن نَصبه جعله كالظرف . واذا قلت : ابدأ بهذا اوّلُ ، ضمّيته على الغاية . وتقول : هذا اوّلُ اي بين الاوّلية . وتقول في المؤنث : هي الاولى ج . الأُوَل والأُوّل ، وكذلك لجماعة الرجال من حيث التأنيث . »

وكذلك الألُّ . وليس هذا من لفظه كقوله :

يُنادي الآخرَ الألُّ الا حُلّوا الا حُلّوا

والسُرْحة . تقول : هذا سُرحة الامر (اللسان في مادة سعر)

والواهلة ، والوَهلَة ، والوَهَلَة . يقال : لقيته لاول واهلة .

والقُرح . قيل لاعرابيّ : كم اتى عليك ؟ قال : انا في قرح الثلاثين

والقُرح ايضاً اول ما يستنبط من البئر حين تحفر .

والحَومل ، والسُلافة ، والسُنُبك . ومنه : اصابنا سنبك السماء ، اي اوّل غيثها .

والعُنتوت ، والشباب . تقول : جئتك في شباب النهار . ولقيته في شباب

الشهرّ . قال الشاعر :

هذا شباب النائبات وليته قد كان آخرها لانسم برهة

والشَرَط ، والصَدْر . كصدر النهار ، وصدر الصيف ، وصدر النصرانية .

والعُباب . ومنه : انا عباب شرفكم ولُباب سلفكم .

والعِرنين . قال امروء القيس :

كأنّ ثبيرًا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمّل

والعُنق . يقال : مات فلان في عُنق الصيف ، وقد اخذ بعنق الستين .

والقريحة . يقال : اخـذت قريحته ، اي اوله وباكورته . وهي ايضاً اول ما يستنبط من البئر . وقيل البئر اول ما تحفر ، ولا تسمى قريحـة حتى يظهر ماؤها . والنصاب ، والسِكِنّة . تقول : جئته في كفة الليل .

والفَوْر ، والفَرَع ، والفَرَعة ، والمقدّمة ، والحدثان ، والانف . يقـال : هذا انف الشدّ ، اي اول العدو . وهذا انف البرد ، اي اوله واشده ، قال امروء القيس :

قـد غدا يحملني في انفهِ لاحق الاطلّين محبوك مُمر

وقال قيس بن الخطيم في امراة :

لا ينثّ الحديث ما نطقت وهو بفيها ذو لـذة طرفُ
تخزنـه وهو مشتهى حسن وهو اذا ما تكلمت أُنُفُ

والأُنُفُ كالانف

والبَدء والبدي . ومنه قولهم : افعله بادئ بدء ، وبادي بدي، ، اي اول كل شيء . والباكورة ، والبِكر . يقال : هذا بـكر والديه ، اي اول ولد وُلد لهما . وكذلك الجارية بغير هاء ، وجمعها ابكار . والجذمور .

وقالوا : القَبَلُ : اول ما يقبل من الشي . يقال حيًّا الله قبله .

والريّق من كل شيء : اوله واصلُهُ : واول الزمان ، وروىق الشباب ، واول الشباب . قال ابو الطيب :

وغضبي من الادلال سكرى من الصبا شفعت اليهـا من شبـابي بريّق

وقال عباس محمود العقاد :

لا تلهينّكم الجدود ولا المنى ابدًا ولا عيش الزمان الريّق

وقال امرؤ القيس :

وترى الشجراء في ريقها كرؤوس قطعت فيها الخمر

والخيذبة : الرأي ، والامر الاول . يقال : اقبل على خيدبتك اي على امرك الاول.

والسغرة : اول الامر ، وجدته . يقال فعلهُ في سعرة شبابه .

والبكر: كل فعلة لم يتقدمها مثلها . — ومن النار: التي لم تقتبس من نار .

والربع : اول كل شيء . والربوق افضل كل شيء واوله . ومثله الريق .

قال لبيد العامري :

مدحنا لها ريق الشباب فعارضت جناب الصبى في كاتم السر اعجما

والشرخ : اول الشباب ، واول الامر . قال يزيد بن معاوية :

ايا دهر هل شرخ الشبيبة راجع مع المقفرات البيض ام غير راجع ؟

والغلواء والغلوان : اول الشباب ، ونشاطه ، وسرعته . قال معروف الرصافي :

ومن الفخامة هنّ في غلوائها ومن الشبيبة هنّ في ريعان

وعنفوُ الشباب ، وعنفوانه : اوله ، او اول بهجته . قيل العنفوان فنعلان من العفو وهو الصفو ، او فعلوان من العنف ، لان اول الشباب حلة خرق وجري على غير رفق ، وكذلك العنطيان . قال احمد شوقي :

غضة من فتى الشيوخ وروح سريا كالشباب في عنفوانه

وكذلك غيسان الشباب ، وغيسانُهُ اي اوله وحدّته ونَمْتُه ، وغهباء ، وغهباوهُ ، وعهباهُ ، وأفنونه ، وغيدانُهُ ، وفوعتُهُ ، ومَوْجته ، ومعجته . يقال : فعل ذلك في معجة شبابه ، ومَوْعته ، وعفاهمه ، وشَخره ، وطُمرّته . وروقه قال المتنبي :

ما دمت من ارب النساء فانما روق الشباب عليك ظل ظائل

وأطرُوانُهُ ، وجنّهُ ، اي اوله وحدثانه . وقيل جدّته ونشاطه ، يقال : كان ذلك في جنّ شبابه ، وجنّته ، وريعانه ، والريعان من كل شيء اوله وافضله ، يقال : ذهب ريعان السراب وجاء ريعان المطر . وحدثانه ، وعناجيجهُ ، تقول : ذهب عناجيج الشباب اي اولهُ ، وعنظيانُهُ ، ومَيعهُ ، وذَبْلُهُ ، وحُمياه ، اي سورته ونشاطه ، وبَعْبَعُهُ ، وعَبعَبه .

وقالوا : هذا رأس السنة ، اي اول يوم فيها . ومثله رأس الشهر .

وغُراب الشيء . وغَرْبُهُ : اوله وحدَّته ، وغُرَّتهُ : اوله ومعظمه . وحداثة الامر : اوله وابتداؤه . يقال : اخذ الامر بحداثته . ومثله الحدثان ، وبداوة الامر : اول ما يبدو منه .

وطالعة الابل : اولها . وكذا است الدهر . ويقال ايضاً : كان ذلك على است الدهر اي على قدم الدهر .

وريّق الزمان . وصدر الشيء . ومنه : صدر الكتاب ، اي اوله وعنوانه .

وفُوّهة الابل . تقول : طلعت علينا فُوّهة ابلك .

وعارضات الوِرْد . ومقدمة الشيء . ومن الابل : اول ما تُنتج وتُلقَح .

وقُرحة الربيع والشتاء . وقراضة الامر : اي طراءته واوله .

ونَزَغ الامر . يقال : ادرك الامر بنزغه .

وفاتحة الشيء : اي اوله الذي يفتح به ما بعده . ومنه فاتحة الكتاب ، سميت بذلك لانه يُفتح بها القراءة في الصلاة ، ج . فواتح ؛ وسورة الفتح هي الاولى من سوَر القرآن .

وجوّلان الهموم . وقَرن الشمس ، وهو اول ما يبدو منها عند طلوعها . وقيل اول شعاعها .

وعُثنون الريح والمطر وغيرهما . يقال : اصابتنا عثانين المطر ، وعثانين الريح .

وانف المطر وهو اول ما انبت . وتقول : هذا انف عمل فلان ، اي اول ما اخذ فيه . وآنفة الصلاة اي التكبيرة الاولى ، اي ابتداؤها واولها .

ومخارم الليل ، وفُوّهة الشيء ، وسنابك المرتاد : اي اوائل امره . قال الاسود بن يعفر :

ولقد ارجّل لمّتي بعشيّة للشرب قبل سنابك المرتاد

وهَودَة الامر يقال : خذ الامر بهودته . وسُلاف الليل .

وجُفاء الناس ، اي سرعانهم واوائلهم ، شبّهوا بجفاء السيل .

وجَنادع الشيء ، ومشاريطُهُ ، وقوابله ، واقاحيه ، وناديا ته ، وتباشيره ، كتباشير النخل في اول ما يرطب .

وقالوا: خرجوا برياح من الشيّ، اي باول منها. وفعله بآنفة، وآنفاً، وأنفاً، اي في اول وقت يقرب منا. واتيت فلاناً أُنفاً، كما تقول: آتيه من ذي قُبُل. وانما الامر أُنفٌ، اي يُستأنَفُ استئنافاً من غير ان يسبق به سابق قضاء وتقدير، وانما هو على اختيارك ودخولك فيه.

وفلان في هذا الامر جذع، اذا كان فيه حديثاً. واذا طفئت حرب بين قوم قال بعضهم: «ان شئتم اعدناها جَذَعة»، اي اول ما يُبتدأ فيها.

وصوموا الشهر وسِرّه: اي اوله وآخره.

واتيتهُ غارضاً: اي اول النهار.

ولقيته في رُبى شبابه: اي في اوله.

وهم يخرجون عَنفاً عَنفاً، وهم يدخلون عُنفواناً: اي اولاً فاولاً.

وهو بِدْع بهذا الامر: اي اول ما اتاه لم يسبقه احد اليه. والبدع الامر الذي يكون اولاً.

وعليك بالامر عند سُخنته: اي في اوله قبل ان يبرد.

وخذ الامر برُبّانه وهواديه.

وانا فَرطكم على الحوض: اي اول من ورد الى الماء ليستقي.

واعد عليّ كلامك من رأس: اي من اول.

واخذه برَبّغه: اي بجدثانه وربّانه قبل ان يفوت.

وجاء في اولية الناس: اي في اولهم.

واعمل كذا اول ذات يدين: اي اول كل شيء تعمله.

ولهذا السحاب نشءٌ حسنٌ وهو اول ظهوره.

ودخلوا في افواه البلد وخرجوا من ارجله: اي في اوائله ومن اواخره.

وجاء سرعان الناس والخيل: اي اوائلهم.

وهذا امر مُستأنَفٌ: اي لم يُسبق اليه، ومثله الامر الأُنف.

وقد دشّن الثوب: اي لبسه لاول مرة. — والمعبد: صلى فيه، وباركه قبل ان يصلي فيه احد.

والتبأ زيد ابأ عمرو: اي كان اول من ابتكر خبر عمرو. (للبحث صلة)

نوابغ المدرسة المارونية الاولى : ٤

ابراهيم الحاقلي او الحاقلاني (١٥٩٤؟-١٦٦٤)

بقلم الخوري بطرس غالب

١

مسقط رأسه – عائلته

حاقل قرية من قرى بلاد جبيل ، موقعها في وادٍ يحيط بها من جهاتها الثلاث ؛ اما من الشرق فهي مستندة الى جبل عالٍ تنبت فيه الاشجار الباسقة اعمدة خضراء تشبه اعمدة حنيّة معبد تقوم حاقل في وسطها كأنها الهيكل.

تعلو هذه القرية سطح البحر نحوًا من ٧٥٠ مترًا . واقرب القرى اليها بجة وبينهما مسير ساعة الى الشمال الغربي ، ثم ميفوق حيث الدير التاريخي الذي سكنه ردحاً من الزمان بعض بطاركة الطائفة المارونية ، وهو على مسير ساعة ونصف الساعة منها الى الشمال الشرقي . اما لحفد ، موطن الاسقف المؤرخ واللاهوتي الشهير جبرائيل ابن القلاعي ، فلا يبلغها القاصد اليها من حاقل الّا بعد مسير ساعة وثلاثة ارباع الساعة الى الشرق . وعلى مسافة ساعة ونصف الساعة قرية عبادات الواقعة في غربي حاقل.

تربة حاقل جيدة غير ان المساحة الصالحة للزراعة ضيقة. معظم حاصلاتها من الحرير ، والزيتون ، والحنطة ، والخضروات المتوفرة فيها بسبب المياه الغزيرة التي تجري من ينبوعها.

مناخ حاقل جيدٌ ايضاً ، وهواؤها بليل قلّ ان يفشو فيها مرض وبائي ، ولذا يعمّر اهلها طويلًا . وعدد نسماتها اليوم لا يقلّ عن الخمسمائة ؛ والمقصود السكان المقيمون في بلدتهم ، اما المهاجرون فعددهم وافر.

الى هذه القرية تنتسب عائلة علّامتنا الحاقلي – ويدعوه بعضهم الحاقلاني–

الشهير ، الممتاز بين انسبائه الذين خلّفوا ذكرًا طيباً في تاريخ لبنان والطائفة المارونية

وقد جاء في اوراق قديمة ان عائلة الحاقلانيين او الحواقلة فرع من عائلة بيت ابي حبيب التي اختلف البحاثون في اصلها ، فمنهم من قال انها من العاقورة ومنهم من زعم انها اتت من غلبون . وعلى كلٍّ فان فرعاً من هذه العائلة توطن بيت شباب حيث احتفظ باسم الاصل الجامع ابي حبيب ، وقطن فرع آخر زوق مصبح في ايام الامير منصور العساف ، فنال افرادهم شهرة واسعة في العلم والنفوذ لدى حكّام لبنان ، فجعلوهم مشايخ لحسن خدمتهم.

وقد كثر عددهم في الزوق فاصبح فوارسهم اربعين من الرماحة . ووقف بعضهم اوقافاً على الرهبان العبّاد اولاً ، ثم سلّموها الى الرهبانية اللبنانية المارونية ، بعد ان انتظمت امورها ونالت تثبيت الطيب الذكر والاثر ، البطريرك اسطفانوس الدويهي الذائع الصيت . منها وقفهم دير سيدة اللويزة المُنشأ سنة ١٦٨٢ الذي ما عتموا ان سلّموه الى الرهبانية البلدية في سنة ١٧٠٧ ، ووقفهم دير مار يوسف البرج الذي سلّمه الشدياق شاهين الحاقلاني الى الرهبانية نفسها في سنة ١٧٤٦ ، ووقف غيرهما ممتلكاتهم باسرها للرهبانية المذكورة واعتنوا بعمار كنيسة الوردية في زوق مصبح.

ثم نزح قسم منهم الى أرده قرب طرابلس وهم الشيخ لويس ابن غالب واخواه ، وعُرفوا فيها ببيت الحاقلاني . وتوفي الشيخ نوفل الحاقلاني سنة ١٨١٩ عن ولد جاءت به امه الى غزير ، فتزوج فيها ومات بدون عقب. فانقرضت به العائلة الحاقلية في كسروان

وقد حفظ التاريخ اسماء بعض المعروفين من هذه العائلة الكريمة وهم :

القس يعقوب ابن حويص الحاقلاني ، سامه المطران داود ، وكيل دير قنوبين ، استقنا سنة ١٥٧٧ ، دون ان يسبق فيعلم البطريرك مخائيل الرزي ، وكان المطران داود قد اتفق على رئيسه . فكتب المطران يعقوب المذكور سيرة القديس شليطا سنة ١٥٦٢ في وادي حدشيت .

يوسف الحاقلي ، نسخ كتاب « ايضاح الامانة » في قرية بان التابعة جبة بشري

القس يمين ابن سالم الحاقلاني ، كتب في قبرس مصحفاً يحتوي ٢١ نافورة لقداس الموارنة

سنة ١٥٣٥ .

الشماس يوسف النريب الحاقلاني ، نسخ المقالات العشر لتوما الكفرطابي سنة ١٤٠٣
الشماس عيسى واخوه ، ولدا الخوري يوسف الحاقلي ، نسخا هذه المقالات نفسها في ايام الدويهي

الخوري جرجس بن عبدالله الحاقلاني ، تلميذ المدرسة الرومانية ، سنة ١٦٣٦ ومعلم اللاهوت الادبي فيها ، درس عليه هذا العلم عبد النال اخيجيان الذي صار فيما بعد بطريركاً على السريان الكاثوليك . ثم عاد الى بلاده فرسمه البطريرك يوسف العاقوري قسيساً وارسله الى رومية لقضاء مصالح الطائفة ، وبعد رجوعه سلمت اليه خدمة موارنة القدس فجرى له خصومات مع الفرنسيسكان ، وقضى اجله سنة ١٦٦٩ . وقد ذكره القس الياس عويضه في زجليته عن تلاميذ المدرسة المارونية

الشدياق سليمان الحاقلاني تلميذ مدرسة رومية ، لم نعرف عنه شيئاً

الشيخ شاهين الحاقلاني الذي عاش بتولاً ، وسلم دير مار يوسف البرج الى الرهبانية اللبنانية في سنة ١٧٤٦

الخوري رزق‌الله الحاقلاني ، خادم زوق مصبح في عهد البطريرك يوسف ضرغام الخازن ، ترى توقيعه على اعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

الشيخ سلهب الحاقلاني ، انشأ دير سيدة اللويزة سنة ١٦٨٣ ، وخصصه اولاً بالرهبان العباد ، وترهب فيه ودعي باسم اغناطيوس ، ثم سلمه سنة ١٧٠٧ الى الرهبان اللبنانيين وانضم اليهم . مات سنة ١٧١٤ وله من العمر ثمانون سنة

جرجس حبيب الحاقلاني ، مسجل بطريركي ورد ذكره في اعمال المجمع اللبناني

الخوري ابراهيم الحاقلاني ، ورد ذكره سنة ١٨٣٥

الحبيس الاخ مارون الحاقلاني ، توفي سنة ١٧٥٦ في محبسة قزحيا برائحة القداسة

الاب يواكيم الحاقلاني ، الذي انتخب رئيساً عاماً على الرهبان اللبنانيين سنة ١٧٤٤

واخيراً المطران رافائيل الحاقلاني ، مطران دمشق ، ولد سنة ١٧١٦ في زوق مصبح ولبس الاسكيم الرهباني في دير مار الياس شويا في ١٤ تموز سنة ١٧٤٠ ، ورقي الى اسقفية دمشق سنة ١٧٥٥ ، وعهد اليه امر تدبير راهبات بكفتا اللبنانيات بعد وفاة المطران يواصاف الدبسي البكفتاوي سنة ١٧٦٩ . وانتقل الى رحمته تعالى سنة ١٧٨٠

واشهر الجميع ابراهيم الحاقلي الذائع الصيت ، الذي ولد في قرية حاقل واليها انتسب . والمرجح انه ابصر النور في اواخر القرن السادس عشر . على اني رغم البحث الجدي المتواصل ، لم اتمكن من معرفة سنة ميلاده بالحصر بل استنتجت من قول البطريرك العلامة الدويهي الذي روى ان الحاقلي مات سنة ١٦٦٤ طاعناً في السن ، ان علامتنا فات السبعين سنة والا لما صحت عنه عبارة الدويهي

٢

دروسه ومؤلفاته الاولى

وما طال امر الشاب ابراهيم حتى بانت عليه ملامح الذكاء والاجتهاد ، فارسله رؤساؤه الى المدرسة المارونية في رومية المنشأة حديثاً ، التي ما كان يُرسَل اليها الّا من تُوسم فيهم الخير والفائدة للطائفة . وأرجح انه سافر الى المدينة الابدية سنة ١٦٠٩ مع القس جرجس مارون الذي سيم اسقفاً على قبرس سنة ١٦١٤ ، ويوسف الكرمداني ، والقس الياس الدويهي ، الذي سيم اسقفاً على حلب سنة ١٦٣٨ . فانصبّ على العلم وعكف على التقوى وامتاز بعقله الثاقب ؛ ونال لقب استاذ في الفلسفة واللاهوت . فلحظ رؤساؤه صفاته هذه ، فنشطوه بطرق شتى ليزين نفسه بالفضيلة والجد . ولشدّة ثقتهم به شهدوا فيه الشهادات الحسنة ، وخصوصاً رئيس المدرسة الاب فابيوس برونو ، رفيق الاب ايرونيموس دنديني في قصادته الى الموارنة . وقد عهد اليه فحص الشحيم قبل طبعه في روميه سنة ١٦٢٢ ، تحت مناظرة الطوباوي الكردينال بلرمينوس اليسوعي .

وألحّ عليه السيد فرنسيس إنغولي ، امين سر مجمع نشر الايمان مع رئيس المدرسة المارّ ذكره ، بان يضع مختصراً للغراماطيق السرياني سهل المنال موجز العبارة ، ففعل . والقصد من ذلك كان منفعة الدارسين لان التأليف الذي كان قد صنّفه البطريرك العلامة جرجس عميرة انحصرت فائدته بالمستشرقين ، لانه وضع باللاتينية مطوّلاً مُبرهناً . والكتاب مقدّم للكردينال أُكتافيوس بانديني ، محامي الطائفة المارونية ، اقراراً بجميله عليها وعلى المدرسة . وقد ذكر المؤلف في تمهيده انه استنجد بغراماطيق البطريرك عميره ، على انه لانهماكه بدرس الفلسفة اضطر الى الايجاز اكثر مما يلزم وكان اذ ذاك شمّاساً ، وسترى انه لم يتعدَّ هذه الدرجة لاسباب نجهلها

ولما انجز تأليفه سلّمه الى الرؤساء ليأذنوا بطبعه ، فكان من جملة المراقبين المطران سركيس الرزي ، مطران دمشق ، رئيس لجنة تصحيح ترجمة الكتاب المقدس في رومية ؛ فاجازه الفاحصون وقرظه المطران الرزّي قال: « وجدت ان « هذا الكتاب » كثير المنفعة لاولاد طائفتنا وغيرهم الطالبين الدخول في علم

الغراماطيق واللغة السريانية . ولذلك نرغب من سائر طائفتنا وشعبنا الموارنة المباركين وسائر اخوتنا المسيحيين الذين عندهم يصل هذا الكتاب انهم يتقبلونه في حرص ويجتهدون على انتفاع بنيهم واولادهم العزاز من هذا الكتاب الذي صار لاجل منفعتهم وارشادهم في طريق العلم وافتهام كتب البيعة المقدسة . . . وتم ذلك في تاريخ سنة ١٦٢٧.» واما ابراهيم الحاقلي فانه أودع مقدمته بعض ابيات سريانية فيها نصائح مفيدة لدارسي هذه اللغة.

ويبين لك قدر الحاقلي في ذلك الوقت ما قاله فيه المطران يوحنا الحصروني الدومنيكاني في شعر نظمه مدحاً لعلّامتنا وهاك ترجمته من السريانية :

« اشكر الله الذي عزّانا نحن الموارنة وقوّانا بالتعاليم المسيحية ، واللغات المختلفة والغراماطيق ، والمنطق ، والرياضيات والفلسفة ، واللاهوت ، التي زينك بها يا ابني ابراهيم الحاقلي . فليرفع الله شأنك في أمتنا وطائفتنا المارونيتين كما رفع شأن ابن القلاعي ابن طائفتك ، فتصير ينبوع ماء الحياة ، بواسطة عملك ، للعقول وللنفوس المفتداة بدم ابن الله سيدنا يسوع المسيح في هذا العالم.»

ثم جدّد بالطبع ، في السنة ذاتها ، وفي مطبعة نشر الايمان المقدس ، التعليم المسيحي الذي كان قد ألّفه الطوباوي بلرمينوس وترجمه المطران يوحنا الحصروني مطران طرابلس . وما لبث ان نشر ايضاً في المطبعة ذاتها خلاصة مبادئ اللغة العربية موضوعة في اللاتينية (١٦٢٨)

٣

الامير فخر الدين المعني وتلاميذ المدرسة المارونية الرومانية

وبينا كان ابراهيم الحاقلاني يهتم بتأليف الكتب وترجمتها ، كان الحبر الاعظم يسعى لتتميم الخطط التي كان اسلافه قد استحسنوها وهي ان يجعلوا الامير فخر الدين حليفاً للدول النصرانية الاوربية ، ولاسيا اسبانية وايطالية ، ليجتذبوه الى الدين المسيحي ويؤيدوه في حكمه وامارته على لبنان ، ويستعينوا به على تخليص الاراضي المقدسة ، وتأمين زوّارها من الظلم والحبس والبلص.

واصل هذه المساعي يرتقي الى عهد كان الامير فخر الدين في فلورنسة ، منهزماً من امام السلطنة العثمانية ، فقضى فيها وفي جوارها خمس سنوات مجتهداً

في اكتساب صداقة الحبر الاعظم ، ذي السلطة الادبية العالية في الدول المسيحية ، وغراندوق توسكانا صاحب السفن الحربية التجارية العديدة . ثم ان عائلة بربريني الفلورنسية الاصل كانت تطمع في تأسيس امارة في فلسطين يولى عليها احد افرادها . وغراندوق توسكانا يبغي ان يحالف اميرًا بلاده غنيّة بالحبوب والحرير لا يكاد يكون لمركزها التجاري مثيل .

اما تلاميذ المدرسة المارونية ، والخازنيون مستشارو الامير ، فكانوا ينظرون بعين الارتياح الى تحسّن العلائق بين الامير والباباوية والممالك المسيحية ، ويتمنون توطيدها معللين النفس باعتناق الامير الدين المسيحي ، وتأسيس حكومة لبنانية وطنية مستقلة يتخلصون بفضلها من مظالم الاتراك .

وقد كتب البابا بولس الخامس الى البطريرك يوحنا مخلوف (١٦١٠) يوصيه بان يعنى بكسب صداقة فخر الدين ، حتى يكون اوفر امنًا في حمايته ، عساه يرتد الى النصرانية قال : « . بما اننا سمعنا ان الامير فخر الدين امير الدروز في فلسطين ، رجل متفوّق بجيوشه وبأسه ، وانه عدو لدود للاتراك وانه يظهر ميلًا الى النصارى ويشملهم بعطفه الممتاز ، ويقرّ انه سليل الامراء قادة الحملة الصليبية على اورشليم فاننا فرحنا بذلك كثيرًا . ولذا نرغب ان تحافظوا على صداقته حتى تكونوا اوفر أمنًا في حمايته لكم لعلّ كره الاتراك له وصداقتكم له يحملانه على الكفر بمذهبه والاهتداء الى الايمان »

ويخيل اليّ ان كتابة المطران يوحنا بن قرياقوس الحصروني الى الامير فخر الدين تدلّ على هذه الآمال التي كان الامير يحييها بما كان يبدو منه من حسن الاستعداد نحو النصارى الذين نجوه من ايدي اعدائه واليك نصّ هذه الكتابة :

« سلام الله الحيّ القدوس محيي الاجساد والنفوس ومعيدها الى قرائنها باحسن الطقوس نخص به حضرة سيدنا واميرنا وفرح قلوبنا وسرور طائفتنا المارونية الجليل القدر الامير فخر الدين المكرم والذي يعرضه على شريف علمكم عبدكم المعروف بخدمتكم المطران حنا الحصروني كاتب هذه العبودية فهو ان قريب جاييكم بمكاتيب كاخيكم مصطفى بن حسن شلبي مع اخبار عدة وان شاء الله تكونوا منصورين على اعداكم والعاقبة للخير بمعونة ينبوع المعونة الالهية سيدنا ومهدينا وصانع خلاصنا يسوع المسيح وشفاعة والدته العذراء مريم الدائمة بتوليتها التي لا صار قبلها ولا بعدها اية تناسبها باعمال الله الواحد . هذا الذي نسأله متضرعين الى مراحمه الجزيلة يجعلكم باصل وبصبركم (اميرًا مسيحيًا) بطاعة البابا مؤيّدًا بالعزّ والنصر

الالهي بالمذهب المسيحي الذي هو وحده مذهب الحق والنجاة المنزل من السماء بواسطة الكلمة الازلية سيدنا يسوع المسيح لخلاص الراغبين الخلاص بالايمان المذكور......» اه

وكان الامير فخرالدين يؤمل غراندوق توسكانا بما يطمع اليه ، ويتحبب الى تلاميذ المدرسة المارونية الذين خدموه اصدق خدمة . ولذلك طلب ، يوم كان في ايطالية ، من الحبر الاعظم ان يرسل بعضاً من هؤلاء التلاميذ الموجودين في رومية مع بعض اخصائه ليشددوا عزم مريديه في لبنان ويقفوا عن كثب على احواله . واستعان الامير بالغراندوق ليكتب للبابا طالباً منه ان يوصي الموارنة بان ينقادوا لفخر الدين ويؤيدوه ، ففعل الغراندوق بطيبة خاطر.

وقد توفق فخرالدين باقناع الغراندوق بعلامة مقاصده ، واستمال البلاط الروماني . وراق الفكر لفرنشيسكو بربريني ، كردينال الكنيسة الرومانية المستشرق المعروف الطامح بابصاره الى الاراضي المقدسة الساعي جدّ السعي للتوفيق بين الدول النصرانية في اوربة وتوحيد كلمة الامراء الايطاليين واستمالتهم الى الانقياد للحبر الاعظم ، ليجعلوه الحكَم الاعلى فيما بينهم.

اما المطران جرجس مارون الاهدني مطران قبرس ، فقد نجح في وضع مشروع معاهدة بين غراندوق توسكانا والامير فخر الدين ، غايتها امتلاك سورية ، وتوطيد ولاية فخر الدين على البلاد اللبنانية باسرها ، واعطاء قبرس للغراندوق وتسليم امارة القدس المنوي انشاؤها الى احد افراد عائلة بربريني . وكان لمشروع المعاهدة نسخة بين الوثائق التي كان قد جمعها شهيد الوطن الشيخ فيليب الخازن رأيناها عنده ولم نتوفق حتى اليوم الى ايجادها .

وقبل ذلك بمدة ، كان قد أرسل المطران جرجس المذكور ، والمعلم منصور شلق العاقوري مؤسس مدرسة راونا يصحبهما المهندس العسكري نيكولتي من ترني ، لتفقد احوال لبنان ودرس موارده بالرجال والغلات ، والتحقق مما كان يرويه فخر الدين الطالب ارسال حملة قوية تنجده للتغلب نهائياً على الدولة العثمانية . ولم يفوّض اليهم الا بحث شؤون البلاد ومقدرتها المعنوية والمادية ، وما يُرجى الحصول عليه فيها ، وما هي القوّات التي يمكن الاعتماد عليها . وقد أوصوا بان يقنعوا فخر الدين بارسال معتمد الى رومية للمفاوضة .

امـا احوال ايطالية فكانت قلقة لاختلاف اهرائهـا ، وخصوصاً عائلتي الراندوق وبربريني . وقد أوعز الى الموفدين ان يحافظوا على حسن العلاقات مع الامير ، ويسعوا لتحسين التجارة بين البلدين . واما مشروع المعاهدة فلم تتم الموافقة عليه ، لان غراندوق توسكانا لم يرضَ بان يناصر عائلة بربريني ، كما انه استصعب الحملة على سورية البعيـدة عن امارته . اما فخر الدين فكان يلح بذلك ليغتنم فرصة انهماك الدولة العثمانية بحربها مع العجم ، على انه لم يتوفق .

ولما رأى الكردينال بربريني انه لن ينجح باقناع فرديناند الثاني ، اخـذ يسعى وحده لجعل علاقات تجارية مع الامير فخر الدين . فحمل البـابا على ان يوجه الى الامير (١٦٢٨) كتاباً يثني فيه عليه ويسأله ان يشمل النصارى بعطفه كسابق عادته

ولم تكن الدولـة الفرنسية لتنظر بعين الرضى الى جميـع هذه المخابرات والمساعي الرامية الى تقليل نفوذها في الشرق ، بل اخـذ وزراء الخارجية فيها يحاكـون تلك السياسة ليحتفظوا بسيطرة حكومتهم ، فعززوا الارساليـات الفرنسية ما امكن ، وعمدوا هم ايضاً الى تلاميذ المدرسة المارونيـة لترويج افكارهم ، فدعوا البارعين فيهم الى تدريس اللغات الشرقية في جامعة فرنسة (Collège de France) واجروا عليهم المرتبات ، وكلفوهم ترجمة الكتب الى غير ذلك .

ومن المعلوم ان الدولة العثمانيـة كانت منعت تجارة الحبوب بين سورية والبلاد النصرانية ، وكان الايطاليون يرغبون خاصةً في استيراد القمح الحوراني الصالح لاصطناع المعجون الايطالي المعروف بالمعكروني ، فاتفقوا مع الامير فخر الدين على استيراد الحبوب من سورية . ولم يكن الامير ليحفل بمنع الدولة بل كان يرسل من الحبوب ما يتيسر له بيعه في ايطالية . وهكذا كانت المصلحة المشتركة العامل الاكبر على التجارة ، وقد أرسل البارون ده لاغرا ، نديم كفيلة الدوقية ، لاجل هذه الغاية وسُمي القارس ده فرازانو قنصلاً ليسهر على المصالح التجارية ، وكان عالماً باللغة العربية وله المام بعادات البلاد .

(للمقال صلة)

الفينيقيون وجيرانهم

بقلم الامير موريس شهاب

امين دار الآثار اللبنانية

٣٠

من آثار بيلوس (تابع)

كان الفرعون امنحميت الثالث معاصراً لملك بيلوس ابي شيمو ، فاهدى اليه إناء ثميناً من الاوبسيديين[١] مرصعاً بالذهب ، أنيق المظهر ، حُفر عليه خاتم الفرعون (الرسم ٦) . وهذا الاناء ادقّ شغلاً واكبر من سائر الآنيـة من نوعه التي وجـدت في قبور اميرات دهشور ، وحُفظت في متحف القاهرة. اما مصدر مادّة الاوبسيديين المصنوعة منها هذه الآنية فهو دون شك بلاد النوبة التي اكتسحها فراعنة الدولة الثانية عشرة ، قُبيل ذاك الزمن.

بقي علينا ان نعرف اسم الملك المدفون في هذا الضريح الفخم. فلندخل في رواق قديم حُفر في الجلمود ليصل القبر المذكور بقبر آخر على شكله . ولننقب فلا نشاهد اثراً لناوس حجري ، بل جلّ ما نقف عليه بعض رقائق من الميناء سقطت عن اطراف تابوت من الخشب فعل به الزمان فتهافت ، ثم نجـد عقداً من الذهب نقش عليـه ، كما نقش على العقد الموجود في القبر الاول ، بازٌ باسط الجناحين ، نجد ايضاً حليين من الذهب صوّرت عليهما تماثيل مختلفة بالحجارة الكريمة والمينا ، فشهدت بما لصانعها من حذق وبراعة في فنه ، اذ آلف بين الاحجار المتعدّدة الالوان من جمشت ، وياقوت ، وبجادي ، ولازورد (الرسم ٢). ونرى

١) الاوبسيديين : مادّة معدنية بركانية الأصل تظهر كانها زجاج طبيعي ، وهي نادرة الوجود

على احد هذين الحليين اسم الملك إيب شيمو أبي متزّلاً بالصور الهيروغليفية المذهبة داخل خاتم مذهب ايضاً.

وفي الضريح نفسه ظهر الى جانب مقرّ الجثة الملكية صولجان من البرونز بقبضة من الذهب، صوّر عليه من الجهتين افعى من الذهب، وقد حُفر في جسم الافعى من جهة اسم الملك المذكور إيب شيمو أبي، ومن الجهة الثانية اسم والده ابي شيمو، كل ذلك بالحروف الهيروغليفية.

فاين قبر هذا الوالد؟ وهل يجب علينا ان نفتش عن ضريحه بعيداً عن ذاك المكان؟ أوليس الرواق الواصل بين القبرين معناه ان الابن البارّ لما بنى ضريحه اراد ان يشرك والده ابي شيمو بما سيقدّم لروحه من التقدمات ومظاهر الاحترام؛ فجعل مقرّه الاخير قريباً من مقرّ ابيه؟ هذا ما نراه.. ويؤيده اكتشاف علبة صغيرة من الاوبسيديين المرصّع بالذهب على طريقة الاناء المذكور اعلاه، حُفر عليها اسم الفرعون امنحميت الرابع، خليفة امنحميت الثالث الذي اهدى ذاك الاناء المذكور. اما هذه العلبة فهيئتها معروفة في مصر لكثرة ما صُورت في النقوش والرسوم. على انها اكتشفت في بيبلوس قطعة مستقلة، وهو الاكتشاف الاول من نوعه. وعليه فان هذه العلبة في هيئتها ومادتها تكوّن احدى مفاخر متحفنا الوطني (الرسم ٣).

اما القبر الثالث فظهر فيه صولجان من البرونز، وعقد من الذهب عليه البازي المعروف باسطاً جناحيه؛ على انه ادقّ صنعاً منه في القبرين السابقين (الرسم ٤)، واسطوانة صغيرة مموّهة بالذهب، وبعض قطع خزفية ثم عدة ادوات صغيرة من البرونز تشبه ما اخرج من الضريحين الآخرين.

استقلال بيبلوس

ان ظهور اسماء ملوك بيبلوس على الآثار المختلفة من السنة ٢٠٠٠ ق.م.، مع ذكر تقدمة الهدايا الفرعونية لهؤلاء الملوك ولا للهيكل، يدلّ على انه، بعد النازلة الكبرى التي ذهبت بالامبراطورية المصرية القديمة، توصلت مملكة بيبلوس الى ان تستقلّ نوعاً عن السلطة المصرية، وظهر فيها أسرة مالكة وطنية.

وفضلاً عن ذلك فـان العلاقات الودية التي ربطت القطر المصري ببيلوس في هذا العهد تظهر كلها موافقة للطريقة السياسية التي عرف بها فراعنة الدولة الثانيـة عشرة من انصرافهم عن الاكتساحات الخارجية الى الاهتمام ، كل الاهتمام ، بالسياسة الداخلية لتقرير الامن وقمع الثورات الوطنية . على ان هذا لم يمنعهم ان يحفظوا مع الشعوب الاسيوية علاقات ودية لم تكن لتقل متانة عن علاقات التابع بمتبوعه ، بل بالعكس .

ومما عزز هذه العلاقات الودية تأثير المدنية المصرية في شعوب الشرق كافة ، وكانت تلك المدنية قـد وصلت في هذا العصر الى ارقى درجات ازدهارها ، فبلغت اقصى مناطق انتشارها ، حتى ان احد امراء مصر اللاجئين الى فينيقية ، يذكر انه كثيراً ما كان يسمع اهالي هذه البلاد يتكلمون لغته المصرية . ومهما يكن من صحة هذا القول فان لدينا البراهين القاطعة على ان الخط الهيروغليفي ، على الاقل ، كان يستعمل كثيراً في بلاط بيبلوس .

عصور الاضطراب في مصر ، ومصير بيبلوس

على ان عصر الازدهار هذا لم يكن في بيبلوس اطول منه في مصر . فلم يتجاوز في البلدين الثلاثة الى الاربعة قرون .

وفعلاً فانه في اواخر القرن السابع عشر ق. م. هجمت على مصر الشعوب الاسيوية المعروفة باسم الرعاة او الهيكسوس فاكتسحتها . وفي هذا العصر ، صار يوسف بن يعقوب وزيراً لاحد الفراعنة من هؤلاء الهيكسوس . وكانت سياسة هؤلاء الملوك ان يسهلوا انتقال الاسيويين لوادي النيل واقامتهم في تلك الاراضي الخصبة ، ليضعفوا العنصر المصري القح الـذي لم يكونوا ليميتوا بسهولة وطنيته الحية . ولم يكن وصول اخوة يوسف الى مصر سوى مظهر من مظاهر هذه السياسة .

اما اصل هؤلاء الملوك الجدد فكان مشتركاً بين مشهوري الشعوب الاسيوية ، فكان منهم الكنعانيون والآراميون وحتى الحثيون .

على ان ما يهمنا خصوصاً هو مصير بيبلوس في هذه العصور المضطربة . فهل

اصبح اهلها من حلفاء الاسيويين المكتسحين ؟ ام ظلوا على الامانة للمصريين المضطَهَدين ؟ ليس لدينا من الآثار ما يدلّ على شيء من ذلك.

ومهما يكن من الامر فاننا نعلم انه عندما انتصر فراعنة الدولتين السابعة عشرة والثامنة عشرة على ملوك الهيكسوس ، وطردوا الاسيويين من وادي النيل ، واكتسحوا البلاد السورية حتى نواحي الفرات ، كانت بيبلوس تحارب الى جنبهم ، فاعارتهم مراكبها ، واعدت لهم مرفأها يتزل فيه المصريون الذخائر والاسلحة المعدّة لجيوشهم الغازية .

ومن ثم عادت العلاقات الودية بين بيبلوس ومصر الى وثوقها في العصور السالفة . حتى انه بينا كانت جميع بلاد سورية الشمالية ، واكثر مدن فنيقية تتحد ظاهرًا او خفية مع الحثيين ، كان ملك بيبلوس ريب عدّي يكتب الى فرعون مصر :

« على اقدام مولاي انطرح سبع مرات وسبع مرات ... ليسرع مولاي بارسال الجيوش .. وان لم يسرع مولاي الملك بارسال الجيوش اصبحنا من الاموات وسقطت مدينة جِبَل في ايدي الاعداء ... وان الاعداء يقولون ان اخذنا مدينة جِبَل اصبحنا اقوياء ..»

اما الفرعون امينوفيس الرابع ، حمو توت عنخ امون ، فقد اصمّ اذنيه عن نداء ريب عدّي المملوء بعواطف الرعب من الحثيين ، والاخلاص الاعمى للمصريين. وما ذاك الّا لان امينوفيس كان منهمكاً بتأسيس عبادة الاله - الشمس ، اله العالم الوحيد ، انهماكاً ولّد الاضطراب في داخل مملكته ، واضاع من يده جميع المستعمرات المصرية في الخارج ؛ فاستولى الحثيون على جميع المدن السورية والفنيقية.

وما رقي توت عنخ أمون العرش حتى اعاد الى مصر عبادتها القديمة ووطّد الامان في انحاء مملكته . وقد تبعه في سياسته هذه سيتي الاول ثم رعمسيس الثاني الذي ولي الملك من سنة ١٣٠٠ الى ١٢٣٤ ق.م. ، ثم تجاوزاه ، ولاسيما هذا الاخير ، الى اعادة المستعمرات المصرية القديمة . فابحر رعمسيس الثاني دائرًا حول الشطوط ، ونزل في نهر الكلب حيث ترك على صخوره الاثر المعروف محفورًا باسمه . وهذا الاثر اقدم الآثار الموجودة من نوعه في نهر الكلب.

اما في بيبلوس فاهتم رعمسيس الثاني باعادة بناء الهيكل . وقد كشفت الحفريات ، السنة الماضية ، عن باب هذا الهيكل . ولنا الرجاء ان نعرضه قريباً في متحفنا الوطني ، حيث نُقلت اقسامه . ويظهر على جهته رعمسيس الثاني ممثلاً تحت خاتمه .

اقدم كتابة بالحروف الابجدية

والى هذا العصر يرقى أثر ذو اهمية كونية . وذلك ان السيد مونتيه ، بينا كان يتابع حفرياته ، كشف بئراً تتصل بضريح خامس وقد حُفر على احدى جهاتها : « اعلم أن هلاكك تحت هذا المكان ! » ولكن على الرغم من هذا التهديد ، فُتشت البئر ، فوجد في قعرها بعض قطع لاناء من حجر الشطوط نُقش عليها اسم رعمسيس الثاني . ووجد ايضاً قطعة عاج صُوّر فيها ثور يعارك اسداً وتنيناً .

فتبادر الى الذهن انه قد يكون هذا الضريح لملك يعاصر الفرعون المذكور . وما هو ان فتح القبر حتى ظهر فيه ثلاثة نواويس غطّت احدها النقوش والرسوم المختلفة .

اما هذه النقوش فتمثل اهمها الملك أحيرام وقد جلس على عرش تحفّ به تماثيل ابي الهول ، وبسطت امامه مائدة عليها انواع الطعام المختلفة . ووقف بين يديه باتضاع ابنه رافعاً بيده المذبّة . ووراءه سلسلة من كبار الامراء يرفعون ايديهم عربوناً لخضوعهم ويقدّمون ما اتوا به من الهدايا . ومُثل على جهتي الناووس الصغريين ثماني نوادب شققن الجيوب واخذن بنوع من الرقص المأتمي .

مُثل الملك بحجمه الطبيعي يحيط به اسدان جعل رأساهما الكبيران ممسكين لغطاء الناووس . واستند الناووس نفسه الى اربعة من الاسود ايضاً .

وهنا لا يسعنا الّا السؤال : ما هي ميزة هذا الفنّ ؟ انه تقليد للفن المصري دون شك ! ولكن ما ابعدنا عن فنّ ما رأيناه قبلاً من العقود والحلي والذي لم يكن سوى نسخ لفنّ المصريين ! نرى هنا الفن الفنيقي ، وقد تخلّص من التأثير المصري ، فاتجه الى شخصية ستتزايد شيئاً فشيئاً حتى تجعله فناً قائماً بنفسه ،

مستقلّا عن غيره كل الاستقلال . وما هو الفنّ ان لم يكن التعبير عن مدنية الشعب وعن عقليته بما يحيط بها من الظروف العديدة الخاصّة بعصر ما ؟ فيمكننا القول اذًا ان بيلوس ، اثناء العصور التي تخلصت فيها من تأثير مصر تحققت فيها نشوء فنّ خاص استمدّ روحه من عقلية الشعب ووطنيته.

ومظهر آخر من مظاهر العصر المذكور تلك الكتابة المتسلسلة على الناووس وعلى غطائه . فبينا نرى صولجان ملك بيلوس في القرن الثامن عشر يحمل اسم صاحبه بالحروف الهيروغليفية المصرية ، نرى كتابة هذا الناووس محفورة بالخط الوطني ، بالحروف الفنيقية.

ومهما بالغنا في الوصف فلا ندرك مبلغ ما يستفزّ علماء العاديات من الفرح امام اكتشاف من هذا النوع . ان اقدم اثر بالحروف الابجدية الفنيقية كنا نعرفه ، قبل هذا الاكتشاف ، لا يرقى الى ما وراء القرن التاسع او العاشر ق . م . اما اليوم فها ان لدينا كتابة من القرن الثالث عشر ق . م . واذًا فهذا أثر ذو اهمية كونية من جهات عديدة ، بل هو اول أثر مكتوب بالحروف الابجدية .

ولم يخطئ الاقدمون اذ نسبوا اكتشاف الابجدية الى الفنيقيين ، فكان ذلك في حكم المقرر عندهم.

كان الفنيقيون يحملون اذ ذاك مفاخر عديدة لما أدوه للانسانية من الخدمات الجلى . فهم الذين قاموا بادوات الوصل بين الشعوب المختلفة ؛ هم الذين كانوا ، اذ ينشرون في انحاء العالم بضائعهم وسلعهم المختلفة ، ينشرون معها اصول المدنية ؛ هم الذين ساروا في قواربهم على البيداء المتاوجة لا يعبأون بعواصف البحر المتوسط ، ولا بمجاهل الاوقيانوس البعيد . وها هم الآن يضيفون الى تلك الخدمات افضل ما يمكن للعلم ان يتمناه من المرافق ، واسمى ما يمكن للمدنية ان ترجوه من اسباب الانتشار ، الا وهي الابجدية !

الابجدية ! وما ادراكم ما تسدّ الابجدية من الحاجات في ذاك العصر القديم ! كيف يتمكن كبار المفكرين من تبادل افكارهم وايصالها الى الجمهور لولا الابجدية ؟ وما عسى ان تكون طرق التعبير عن الفكر لولا الحروف ؟

أوَ يكفي لذلك تلك الصور الهيروغليفية التي كانت قراءتها وحدها علماً قائماً برأسه؟ وكثيراً ما رفعت الرجل من رعاع القوم فاحلّته مكان الوزراء العظام في الصور القديمة. وان معلمي المصريين انفسهم كانوا يجدون صعوبة عظيمة في حل الغاز تلك الرسوم الهيروغليفية وتفسير احاجيها. ولم يكن اسهل من ذلك فهم الصور المسمارية التي لا تزال قراءتها في عصرنا، على ما فيه من التسهيلات، علماً خاصاً بنفسه.

فما صنع الفنيقيون ليحلّوا هذه الصعوبات ويسهّلوا تداول الافكار بين الناس؟ اخذوا بتقسيم الصوت الى مبادئه الاصلية السهلة. فاستبدلوا بالحروف تلك الصور التي كانت تمثل مقاطع تامة او كلمات برمّتها. وهكذا اكتفوا بستة وعشرين حرفاً للتعبير عن جميع المقاطع الصوتية. وهي حروف سهلة الحفظ والتصوير حتى ان الصبي ليصورها عن ظهر قلبه بعد ان يتلقى درسه الاول. وقد نجحوا بتقسيمهم الاصوات نجاحاً باهراً حتى اننا لم نكد نزيد شيئاً على الطريقة التي اورثوها البشرية منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة، كما تشهد بذلك الآثار المتابعة من عهد الكتابة الظاهرة على ناووس أحيرام، الذي يبقى مفخرة الفنيقيين كما انه مفخرة متحفنا الوطني.

ولا ينسبنَّ القارئ هذا القول الى ما قد يثيره في اللبناني التعصب لاجداده الفنيقيين. فها انا اردفه بقول عالم كبير ابعد من ان يرمى بالتعصب، لانه لم يكن لبنانياً ولم يعرف فنيقية. قال جورج پيرو، مدير مدرسة المعلمين العليا في باريس، في كتابه تاريخ الفنّ:

«انه لزمن مهم في تاريخ جنسنا البشري زمن اختراع المطبعة. على ان زمن اختراع الابجدية، لو امكننا معرفته، لكان اوفر اهمية. ان تحليل اللفظة، والسير في هذا التحليل الى عناصرها الاولية كانا دون شك عملاً عقلياً ادقّ، واجتهاداً ذهنياً اشدّ مما كلفه سبك الحروف مستقلّة وطرحها على الآلة الطابعة.

« على اننا نرى تماثيل غوتنبرغ في كل مكان. من الحق ان الرجل يستحق هذا الاكرام. ولكن كم تكون آثار الرخام والبرونز اكثر استحقاقاً باكرام ذاك السوري الذي اخترع لشعبه آلة عجيبة لم تعرفها المدنيات العظيمة القديمة! وهل

بين جدودنا الاقدمين ، الذين عملوا وجدّوا حتى اوصلونا الى ما نحن عليه اليوم ، من يكون اوفر جدارة من ذاك الذي يحتجب عنا وراء ظلمات التاريخ ، بان نجعل اسمه في رأس لائحة المحسنين للبشرية وابطالها العظام .»

هذا ما كانت عليه حالة فنيقية في عصر رعمسيس الثاني ، اي في القرن الثالث عشر ق. م. فلنرَ ما صارت اليه بعد ذاك :

لنقطع قرناً فنشاهد رعمسيس الحادي عشر يُرسل صفيّه اون-امون الى بيبلوس ليأتيه منها بالخشب .

وكان ان الفلسطينيين وشعوب الشواطئ البحرية الذين كان رعمسيس الثالث قد اقامهم في نواحي غزّة ، انتشروا في تلك الجهات وتوسّعوا في فتوحاتهم نحو الشمال حتى انهم اخربوا صيدون قبيل هذا العصر ، وكانوا اذ ذاك يحتلون الشاطئ حتى الكرمل ويقطعون الطريق على المارّة فينهبون ويسلبون ويلتجئون الى بلدة دور ، واسمها اليوم طنطوره . ولم يوفّروا في نهبهم موفد الفرعون نفسه بل سلبوه جميع ما معه اثناء مروره قرب دور.

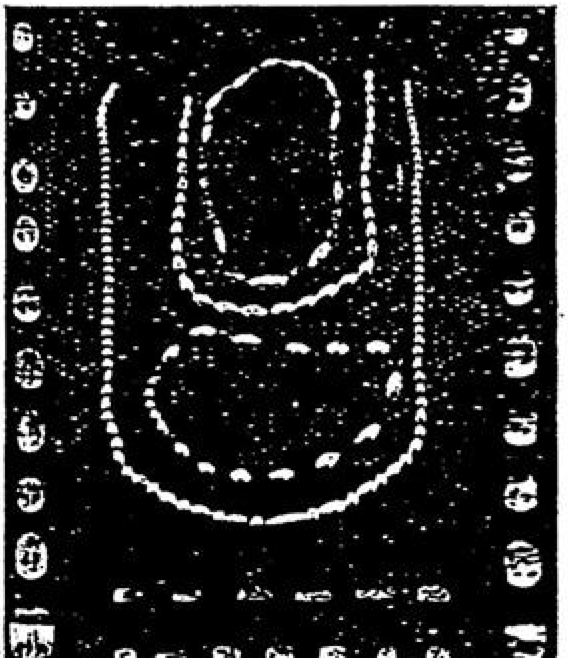
على ان أون-أمون تابع سيره الى بيبلوس ودخل على ملكها زكربعل ، فطلب منه ، بصفة كونه رسول الفرعون ، ان يجهّزه بالاخشاب الى مصر . فسأله الملك عمّا يحمل اليه بدل ذلك . فاخذ أون-أمون بالاكثار من الوعود .. ولما لم ينجح قال للملك ان بيبلوس ونواحيها من املاك الاله أمون . فاجاب زكربعل قائلاً : بل انها من املاك الملك اي زكربعل نفسه . ثم اشار بيده فدلّ موفد الفرعون على قبور اسلافه من الموفدين المقبورين في بيبلوس . ففهم أون-أمون اذ ذاك ان سلطة سيّده على فنيقية اصبحت أثراً بعد عين...

وفعلاً فان مملكة المصريين كانت في ذاك الوقت في معظم انحطاطها . وكانت مملكة كلدو وممالك الحثيين قد سبقتها في الانحطاط . وكذلك طروادة والمدنية الايجية كانتا قد اضمحلتا جملة . وكانت بلاد اليونان في يد البرابرة من الاخائيين . اما مملكة اشور فلم تكن بلغت ازدهارها بعد . وعلى الجملة لم يكن في مجال العمران اذ ذاك سوى فنيقية تسعى السعي الحثيث ، بعد ان تحرّرت واستقلت ، الى احتلال المركز الأسمى بين الممالك الكبيرة .

ولم تلبث ان نشرت نفوذها في المسكونة ، وزادت عدد مستعمراتها من بعيدة وقريبة ، وملأت مواتيها بالخيرات والكنوز. فاتجهت الى الفنيقيين انظار العالم.

وكان العبرانيون قد دخلوا ارض كنعان ، واراد سليمان الحكيم بناء الهيكل العظيم ، فطلب معونة حيرام ملك صور ، عارضاً عليه ، لقاء ما يُرسله من خشب الارز ، عشرين قرية من بلاد الجليل. على ان حيرام لم يربح في تلك الصفقة لانه عندما زار العشرين القرية تحقق فقرها وقلة خيرها فكتب الى سليمان : « يا اخي ان هذه البلاد كَبُول ! » اي كلا شيء. وتقول لنا التوراة ان هذا اللقب ظلّ عالقاً بتلك البلاد منذ ذاك الحين.

ولم يمض نحو القرن على ذلك حتى أسس الفنيقيون اوتيكة وقرطاجة. واخذت سفنهم بالرحلات البعيدة ، فداروا حول رأس الرجاء الصالح ، عشرين قرناً قبل ڤاسكو دي غاما. وسوف لا يحدث من ثمّ معركة بحرية خطيرة الّا وترى الفنيقيين في مقدّمة الظافرين بها ، حتى اخضعوا الامواج ونالوا سيادة البحار في العصر القديم.



عقود وجواهر استخرجت اثناء حفريات بيبلوس (متحف بيروت)

الزهرة التركيَّة

في

الحديقة الرهبانية

ترجمة حياة بهيّة خالد المحمدية أمس ، والاخت
ماري هيلانة اليوم ، إحدى راهبات دير الزيارة ،
في زوق مكايل . نقلاً عن لسانها ، وهي في الدور
الاول من حياتها العالمية ، وعن لسان أهل الدير وهي
في الدور الثاني من حياتها الرهبانية.

بقلم حضرة الخوري يوسف العشيتي المرسل البطريركي

٢

ان من يقرأ ترجمة الاخت ماري هيلانة ، مولودة الأستانة ، المحمدية المذهب في الاصل ، لا يتمالك من الاندهاش بمفاعيل النعمة الالهية التي لا تقف بسبيلها اعظم قوة بشرية.

وُلدت هذه الفرسة الصالحة من ابوين لا يُدركان ، او لا يُريدان ان يُدركا ، عظمة وسموّ الدين المسيحي ، وجمال وكمال الحياة الرهبانية ، وقداسة السيرة التي هي مجموع كل الفضائل بدرجة سامية تفوق القوى البشرية.

اقبلت هذه الابنة بكل مسرّة وشوق وارتياح الى اعتناق الحياة الرهبانية وايثارها ، بعد تنصيرها . ولعمري مَن انبأها أو اوحى اليها ، وهي في صدر ايّامها ، في حداثة سنّها ، لتترك اباها وامها ، ولم يكن قد طرق مسامعها بعدُ قول من اختارته لنفسها عروساً: «من لم يترك اباً واماً . . . » ، وتدين بدين لا يتفق ودين اجدادها . وتعتنق حالةً يحظّرها عليها كتابها : لا رهبانية في الاسلام. هي نعمة خاصة استدركت هذه الفرسة الجميلة ، وجعلت لها بين بنات جنسها شأناً بجميع اطوار حياتها.

ان ترازية الطفل يسوع الفرنسية كان لولادتها مسيحيةً ، ولتربية والديها ،

وللمحيط الذي وُجدت فيه ، تأثيرٌ وعملٌ في تثقيفها وتهذيبها ، كما قالت هي نفسها عن ذاتها:

«لم اكن آمن قط على نفسي فيما لو كنتُ ترَبيتُ على ايدي والدَين غير فاضلين. انما امثال والديّ الصالحة قد انطبعت في قلبي فاضطررت ان اتمثل بها.»

اما بهية «الطفل يسوع» التركية فلا امثال والديها ، ولا المحيط الذي وُجدت فيه في اول نشأتها ، امكنهما ان يؤثرا فيها. نشأت بعيدة عن الحياة المسيحية ، وأتت من الاعمال الخطيرة والتضحيات السامية ما تفاخر به بنات جنسها ، ويدلّ على عظمة نفسها . نذرت باحر التقوى نذورها ، وكرّست ذاتها ليسوع عروسها الذي احبته حبًّا فائقاً وتخلّت عن كل شيء للتفرغ لخدمته . فكانت مثالاً بطاعتها ، قدوةً بطهارتها ، نموذجاً بوداعتها وصبرها.

ان اجماع الكلمة على امر هو شهادة عدل على حقيقته . وان جميع من عرفوا الاخت ماري هيلانة ، وعاشروها ، يشهدون بسموّ فضائلها وقداسة سيرتها.

اولًا بطاعتها العمياء لرؤسائها بتسليم وانقياد ليس بعدهما زيادة . فكانت تعتقد اتمّ الاعتقاد بان اطاعتها لرؤسائها هي اطاعة يسوع عينه.

ثانياً بمحبتها الفقر . منذ دخلت هذه الابنة الى الدير لم تطلب لذاتها شيئاً ولو زهيداً . بل كانت تكتفي بما يُقدّم لها . وكثيراً ما كانت تلتمس من الرئيسة ابدال ما خُصّت به من ثوب جديد بثوب عتيق.

ثالثاً بطهارتها وحبها لهذه الفضيلة . فقد كانت مثالاً بحشمتها ، بآدابها ، بحركاتها ، بمحادثتها ، بكلامها ، فلم ترفع نظرها الى احد قط. ومن ينظر الى هذه الابنة الفاضلة والى ما امتازت به من صفات واخلاق لا يسعه الا القول عنها : ليس هذه بشرًا ان هي الّا ملاكٌ سماوي.

على ان جمال هذه الزنبقة وعرفها العطر لم ينحصرا ضمن جدران ديرها ، بل ما لبثا أن اشتهرا وتضوّعا خارجاً واصبحا حديث القوم . فكان الكثيرون من مرضى واعلاء يأتون الدير طالبين مشاهدة الراهبة ماري هيلانة للتبرك منها وطلب صلاتها . اما هي فكانت تنقبض حياء ، وتنزوي خجلًا. ومن صفاتها الخاصة

الوداعة والصبر ، مما حفظ لها بين اخواتها ممن عاشرنها اعظم تذكار ، بل افضل مثل على حسن معاملتها واحتمالها . فلم يكن يُسمع منها قط كلمة تذمّر ؛ ولم يكن يظهر على وجهها سمات حزن او امارات كآبة منذ ما دخلت الدير . وكثيرًا ما كانت تعتذر لرفيقاتها فيما اذا كانت سببت لهنَّ ما يكدرهنَّ .

ومما امتازت به دون سائر اخواتها هو حفظها قوانين الرهبانية بتدقيق . فمنذ دخلت الدير لم تتخلّف قط عن الاوقات المخصصة للصلوة والعبادة ، وعن ممارسة النوافل وسنن الكمالات الرهبانية وبجمل القول انها كانت تحفظ قوانين رهبانيتها بكل تدقيق ، حتى في اشتداد المرض عليها الذي لم يكن يقعدها عن ان تتقدم جميع اخواتها في الذهاب الى الكنيسة للمناولة اليومية والى محلات الشغل . امّا في الاوقات الحرّة فكانت تلازم الكنيسة ساجدة امام القربان المقدس . اما السبحة الوردية فكانت تنهض نصف الليل وتتلوها بخشوع وعبادة ، جاثية بالقرب من سريرها . . .

لم تكن الطبيعة لتحرم بهيّة الطفل يسوع من جمال خَلق كان ، ولا مشاحة في القول ، دليلًا على كرامة خُلقها . فكانت تبدو على محيّاها صورة سماويّة تنبئ عمّا حواه هذا الهيكل الجميل من الكنوز الادبية السامية .

. . .

صفاتٌ ثلاث تحلّت بها ابنة السماء ماري هيلانة : صفة جسدية ، وقد مرّ الكلام عنها . وصفة عقليّة ، وهي إدراكها سعادة الحياة الآتية وشقاء هذه الحياة . وإيثارها اسلم الطرق وآمنها للبلوغ الى غايتها . وما هي هذه الطرق الّا الطرائق الرهبانية ، الملجأ الامين ، ميناء الخلاص . وصفة قلبيّة ، وهي الاخلاص بكل اعمالها . لم تكن تنكف عن الشغل في اوقاته . ولم تكن تتسامح قط او تتساهل بخرق حرمة القانون ، ولو في اصغر مادّة . فكانت محبة الصمت والسكوت والتستّر والتخفي عن العيون تحبس نظرها عن كلّ موضوع ، ولو مجرّدًا . وجسدها عن الراحة ، ولو ضروريّة وجائزة . فكانت تجد في كل امرٍ موضوعاً لاماتة الذات الباطنة والظاهرة . وعلى الخصوص في إبان مرضها الذي تعسّر برؤه ُ واحتملته بضع سنين بصبر وتسليم دون تذمّر او شكوى

بل بالعكس فقد كانت تعدّ مرضها كافتقاد العناية الالهية لتقصر ايام غربتها على الارض وتجزل اجرها في السماء.

وما كانت متصفة به هذه الراهبة الفاضلة من السذاجة المسيحية ، وسلامة القلب والنية ، أهّلها لان تتنعم برؤية العذراء مريم وطفلها يسوع مرارًا. فقبل وفاتها بشهرين ، اتت الام الرئيسة فقالت لها ببساطتها المعهودة: «ان امي العذراء ظهرت لي وانا اتململ من شدة الالم ، وقالت لي انها تنقلني اليها بعد شهرين.» وبالواقع قبل وفاتها بثلاثة ايام ، نهضت من فرشتها ، واخذت تودع اخواتها الراهبات طالبة اليهنّ ان يتوسّلن الى الله لاجلها وان يسامحنها ، ودموعها تتساقط كاللؤلؤ المنثور.

وفي ذات ليلة بينا كانت الراهبات غارقات في نومهن استفقنَ على صوتها وهي تتكلم بلهفة فقلنَ لها : «ما شأنك يا اختنا في هذه الليلة ؟ مع من تتكلمين ؟» فاجابتهنّ فورًا : «سيدة جميلة تكلمني ! هي لا شكّ امّ يسوع الطفل ، امّي !»

وكثيرًا ما كانت تُشاهَد هذه الابنة الفاضلة مختطفةً بالروح وهي تردّد هذه النافذة :

« يا قلب يسوع الحلو ارحمني ! »

ولما كان يشتدّ المرض عليها ويضايقها كانت تلجأ الى عروسها الالهي صارخة اليه من عمق فؤادها : « انقذني يا يسوع من جسد الخطيئة هذا ! »

ولم تكن تنزع صورة قلب يسوع من صدريّتها وايقونته من عنقها . ففي احد الايام فقدت هذه الصورة ، وهي في بستان الدير ، ولم تشعر حينئذٍ بفقدها. ففي الليلة عينها سمعت صوتًا ، وهي مستغرقة في نومها ، يقول لها على ثلاث مرات: « انهضي وفتشي عن صورتي التي فقدتِها.» فاسرع من لمح البصر استفاقت من نومها ، واذ لم تجد الصورة ضمن صدريّتها ، اسرعت الى البستان الذي قضت فيه فترةً من الزمن للتأمل بجمال المخلوقات وحكمة الخالق ، وفتشت عن الصورة فوجدتها بين اغصان وردة زاهرة فتناولتها وقبّلتها ، وقفلت راجعة لفرشتها

٣

اما عبادتها للقربان فمما يقصر عن وصفه القلم. كانت تقضي اوقاتها الحرة في الكنيسة ، جاثية على ركبتيها امام السجين الالهي شاخصة ببصرها اليه ، تاركة لقلبها وعواطفها الكلام لمن احبته من صغرها لدن رأته في حلمها يدعوها اليه ، لتترك اباها وامها وتلحق به . ومما لحظته اخواتها من بنات جمعيتها هو ما كان يبدو على وجهها من الامارات الغريبة عند الاحتفال باعطاء البركة بالقربان الاقدس ، بادمان نظرها بالقربان ، بسيل دموعها ، بتأوه صدرها ، بهتملة كلامها ، مختطفة بالروح مدة عرض القربان للعبادة والاكرام . وقد سئلت مرة عن هذا الامر فاجابت بسذاجتها المعروفة : « اني اشاهد الطفل يسوع بجماله السماوي ، باسم الثغر ، يدعوني اليه . وهو هو عينه الذي رأيته في الحلم في بستاننا في الاستانة.»

وفي احد الايام حلمت في نومها ان يسوع القى على ذراعها اليمنى صليباً ثقيلاً ، ولم تطل المدة على حلمها هذا حتى ظهر على ذراعها في المحلّ عينه داء الجمرة. فاحتملت هذا الداء الجديد بسرور وارتياح لاعتقادها بان الطفل يسوع ، عروسها الالهي ، اراد ان تشاركه في آلامه على الارض ، لتشاركه في سعادة السماء عن طريق الصليب والجلجلة . وهكذا قضت ما بقي من ايام حياتها القليلة على الارض مستسلمة بكل خضوع وانقياد لعروس نفسها . الى ان طارت روحها الطاهرة الى خالقها وهي تردّد قولها: «يا يسوع حبيبي ، في يديك استودع روحي ! » ، بعد ان مُسحت بالزيت المقدس وتزوّدت زاد الراحلين ، وحصلت على جميع المساعدات الروحية ، ووجهها يتدفق بشراً وسلاماً ، في اليوم التاسع من شباط الواقع فيه عيد القديس مارون سنة ١٩٢٧ . ودفنت بمدفن الدير الخاص بالراهبات بكل احترام.

وبعد وفاتها بمدة قليلة ، ظهرت لاحدى الراهبات في حلمها واشارت اليها بان تُصرف الابنة ... من الدير ، اذ لم تكن مدعوّة للحالة الرهبانية . وبالواقع لم تُطل الابنة المذكورة اقامتها في الدير حتى أعارته ظهرها ، بعد ان قضت

فيه ١٢ سنة دون فائدة.

وبعد مرور سنتين وشهرين على وفاتها، فُتح المدفن الذي دُفنت فيه لايداع راهبة اخرى توفيت برائحة القداسة، فوجد وجهها باقياً على بشرته، وجسدها سليماً على حاله.

* * *

هذا ملخص حياة الراهبة ماري هيلانة[1]، احدى ازاهير رهبانية الزيارة، وقد اسميتها «بهجة الطفل» لبيان سبب اهتدائها، وهي في بيت ابيها في الاستانة، كما رأيت.

وينتج مما قلناه لحد الآن بترجمة بهجة الطفل يسوع، او الاخت ماري هيلانة، ان في وسع الجميع ان يصعدوا الى ذرى القداسة اذا قصدوا، دون حاجة الى صنع المعجزات والاعمال الخارقة، كما ارتقت المترجمة لدرجة القداسة بطريق المحبة الكاملة والثقة التامة بيسوع. ومما اجاهر به وافاخر ان امثال هذه الزهرة في حدائقنا الرهبانية، لكلا الجنسين، كثيرٌ يتناقل الخلف ذكر فضائلهم جيلاً بعد جيل.

---

١) تيمناً باسم والدة الطفل يسوع، وباسم القديسة هيلانة والدة قسطنطين الملك الذي تسمت المدينة بيزنطية باسمه «القسطنطينية»، ثم الاستانة لما تملكها الاتراك.

في سبيل ثقافتنا العامة : ١

البكالوريا اللبنانية والتعليم العصري

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

تقدم لنا ، في «مشرق» كانون الثاني ، كلام عن اسباب انشاء البكالوريا اللبنانية ، وعما رمت اليه حكومتنا من الغايات الحميدة في خلق مقياس رسمي تُعرض عليه معارف من يتخرجون في المدارس المختلفة ، فاذا وُجدت مطابقة لما يتطلبه البرنامج الموحّد ، أقرّتها اللجنة الفاحصة وانالت صاحبها الشهادة الرسمية باتمام تنشئته الثنوية . وقد اطلعنا مؤخرًا على تقارير اللجان الفاحصة في الدورة الاولى من امتحانات البكالوريا الجديدة منشورة في « نشرة المعارف العمومية » للمفوضية العليا (*Bulletin de l'Enseignement*) ، فراينا ان ندرس ما تدلّ عليه هذه التقارير ، ونستخلص ، من نتائج الامتحان ، استعداد المدارس لتطبيق البرنامج الجديد ، واستعداد الطلّاب لاساغته ، قبل ان نخوض في نقد اقسامه قسماً قسماً .

نتائج الامتحان الاول

أُنشئت البكالوريا اللبنانية بمرسوم صدر عن رئيس الجمهورية بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٩ . على انه لم يُنشر بالطبع الا في شهر اذار ، فلم يتمكن ارباب المدارس من الوقوف عليه وتطبيقه الا وقد مرّ من السنة المدرسية اكثر من خمسة اشهر ، ولم يبقَ بينهم وبين الفحص ، الذي عُيّن له يوم ١٧ حزيران ، سوى ما يقلّ عن الثلاثة الاشهر . وان ساغ لنا ان نبدي ملاحظة لوزارة المعارف ،

بهذه المناسبة ، فاننا نأخذ عليها اسراعها في تعيين الدورة الاولى لامتحان البكالوريا اللبنانيـة ، ولم يمرّ على نشر برنامجها الوقت الكافي لكي يدرسه مديرو المعاهد ، ويعدّوا طلّابهم لتفهم موادّه بتؤدة وترتيب .

بيد ان هذا الاسراع في تطبيق البرنامج ، ومن ثمّ عدم استعداد الطلّاب ، لم يثبط همم هؤلاء عن اقتحام الامتحانات . فلم يظهر المرسوم المعيّن تاريخ الامتحان حتى تهافتوا بالعشرات على ادارة المعارف يقيدون اسماءهم ، ويلتمسون الشروح اللازمة عن اجراء الفحص ، فلم يُقفل دفتر القيد الا وقد ضمّ ثلاثة وخمسين اسماً من طلّاب الشهادة الجديدة .

اما نتيجة الفحص فكانت ابعد من ان تكافئ نشاط هؤلاء الطلّاب اذ لم ينجح على ٥١ طالباً تقدموا للامتحان الّا اربعة عشر[1] منهم ١٣ على ٣٦ في الفرع الادبي او ما يوازي ٣٧ بالمئة ، و ١ على ١٦ في الفرع العلمي او ما يوازي ٦ بالمئة ، بينما كانت نتائج امتحانات البكالوريا الفرنساوية تفوق ذلك بكثير . فنجح في الفرع الادبي B من البرنامج القديم ١٥ على ٢٠ او ٧٥ بالمئة وفي الفرع العلمي D ٢ على ٦ او ٣٣ بالمئة . ونجح في الفلسفة من البرنامج ذاته ٢٢ على ٣٩ او ٥٦ بالمئة وفي الرياضيات ١٤ على ٢٢ او ٦٣ بالمئة . اما طلّاب البرنامج الفرنساوي الجديد المطبّق لاول مرة ، فنجح منهم في فرع 'A ١١ على ٢٠ او ٥٥ بالمئة ، وفي فرع B ٣٧ على ٩١ او ٤١ بالمئة[2]

فترى في جميع الفروع ان معدل الناجحين في البكالوريا الفرنساوية يفوق بكثير معدل الناجحين في البكالوريا اللبنانية . فلِمَ هذا التفاوت ؟ قد يقول البعض ان النجاح الذي حازه ارباب البرنامج الفرنساوي القديم ناتج عن سهولة الفحص وشفقة الفاحصين ، اذ كانت هذه الدورة الاخيرة من نوعها بعد ان حُوّر البرنامج واوجدت الاقسام الجديدة ، 'A و B للبكالوريا الفرنسوية . قد

---

١) كان من الناجحين ٥ من كلية القديس يوسف ، و ٣ من مدرسة الحكمة المارونية ، واثنان من المدرسة العلمانية ، واثنان من مدرسة الاخوة المريميين في جونيه ، واثنان تقدما من تلقاء نفسيهما .

٢) راجع تفصيل ذلك في *Bulletin de l'Enseignement, VII, 5 et 6*

يكون شي من ذلك ! على ان الفرق يظل كبيراً بين نتائج الشهادة اللبنانية ونتائج الشهادة الفرنساوية ذات البرنامج الجديد.

ولا يسعنا نسبته الى ان البرنامج الفرنسوي الجديد احكم وضعاً وانسب لعقول الطلّاب من برنامجنا ، لان هذا الزعم مردود بالمقابلة بين البرنامجين وبالاستناد الى شهادة ارباب التعليم من الفرنساويين انفسهم الذين قاموا على برنامجهم الجديد وبينوا اخطاءه في مقالات عدة ، كما سنبيّن عند تقدنا لبرنامجنا. ثم لا يمكننا نسبة الفشل الى قساوة اللجنة الفاحصة ، وتحاملها على الطلّاب المساكين. فهذه القساوة البربرية وهذا التحامل العدائي لا وجود لها الّا في مخيلة الطلّاب الراسبين يتعزّون بهما عن سقوطهم ، او في مخيلة بعض الناجحين يستخلصون منهما اسباباً جديدة لفخرهم وتبجحهم بالنجاح على الرغم من صعوبة الفحص ، وظلم الفاحص. والا فيشهد الله ان اللجنة كانت تفتش برجاء كبير عن مسابقة تستحق لصاحبها علامة ١٠ فتضعها فرحةً بان توفر لهذا الشاب ولأهله ومعارفه اسباب الفرح والسرور. الّا انها لم تكن لتوفق في غالب الاحيان. وما ذاك — وهذا هو السبب الحقيقي للفشل في الامتحان الاول — الّا لعدم استعداد الطلّاب لتقديم الامتحان الثنوي ، ولانصراف اكثرهم الى الاخذ برصف القوالب الفارغة عن التفكير في الموضوع المطروح عليهم. وقد اشرنا الى ذلك في التقرير الذي رفعناه الى وزارة المعارف ، على اثر تصليح المسابقات الخطية في آداب اللغة العربية ، وهذا هو بنصه :

الفرع الادبي

القي على الطلاب ثلاثة موضوعات في آداب اللغة العربية هذا نصها :

١ — كيف نشأت الاسواق في الجاهلية ؟

٢ — ما هي مزايا الشعر الجاهلي ؟

٣ — ايّ اثر احدثته الحضارة العباسية في اللغة من حيث اغراضها ومعانيها والفاظها واساليبها ؟ اوضح ذلك بالامثلة.

فكان ان الموضوع الثاني ظهر اسهل من الباقيين فنال الافضلية واختاره ثلثا المتسابقين فوضعوا امامنا ٢٤ مسابقة في الشعر الجاهلي. على ان اكثر هذه

المسابقات كانت خارجة عن الموضوع . فبدلاً من ان يحدد الطلاب تقسيم موضوعهم بدقة ، ويسيروا عليه بترتيب ، معددين صفات الشعر الجاهلي صفة صفة ، رأيناهم يسهبون دون فائدة في ماهية الشعر واصله ، ويملأون الصفحات الكبيرة باعادة ما علق بذاكرتهم من الاساطير والحوادث حول نشأة الشعر العربي ، وتاريخ العرب ، وجغرافية جزيرتهم ايضاً . وكلها امور لا دخل لها في الموضوع المطلوب . مما دل على فساد تنشئتهم الادبية وعلى انهماك اساتذتهم بتقوية ذاكرة التلاميذ دون الاكتراث لتوسيع عقلهم ، او الاهتمام بتدريبهم على التأليف المنسق المعقول . بيد ان منهم خمسة او ستة ادركوا الطريق المستقيم في التأليف ، فجمعوا اطراف موضوعهم بتقسيم وافر وجالوا فيه عارفين فنالوا علامات جيدة مثل ١٤و١٥ على ٢٠ ، بينا كان زملاؤهم من الذين كتبوا بلغة اصح واسلوب امتن لا ينالون الستة او السبعة على عشرين الا بالجهد ، لخروجهم عن الموضوع .

واختار سبعة طلاب الموضوع الاول ففهمه ثلاثة منهم فهماً كافياً . ولكن لم يكن في مسابقاتهم ما يستحق ذكراً خاصاً .

اما الخمسة الباقون فاختاروا الموضوع الثالث . وهو يقسم الى قسمين : الاول تاريخي ، والثاني ادبي يوضح بالامثلة ما كان يجب ان يذكر من الاحكام في القسم التاريخي . فكان ان اربعة على خمسة لم يهتموا بهذا القسم الثاني .

الخلاصة انه بين ٣٦ مسابقة في الفرع الادبي ، رأت اللجنة الفاحصة ١٠ مسابقات فقط تستحق العلامة المتوسطة او علامة اعلى .

فعلى الاساتذة ان يهتموا بفهم روح التعليم الثنوي الذي ينصرف الى تغذية عقل الطالب وتدريبه على التأليف الصحيح ، قبل انصرافه الى حشو ذاكرته بالنكات الادبية وتعويده رصف القوالب الفارغة وصقل العبارات الرنانة .

الفرع العلمي

اما في الفرع العلمي فكانت النتيجة شراً منها في الفرع الادبي . وهذه

الموضوعات الثلاثة التي طرحت على الطلّاب :

١ – من هم الشعراء الثلاثة المقدمون في العصر الاموي ؟ قابل بينهم وقل من تفضل ، ولماذا ؟
٢ – صف الحركة الفكرية في عصر المأمون .
٣ – ماذا تعرف عن دور اللبنانيين في نهضة الآداب العربية في القرن التاسع عشر ؟

ولما كان اكثرهم من اللبنانيين رأوا من الطبيعي ان يختاروا الموضوع الثالث . على ان الصفة اللبنانية وحدها لا تكفي للنجاح ، ولهذا لم نرَ بين المسابقات التسع في الموضوع الا مسابقة واحدة تستحق علامة حسنة . وهنا ايضاً ينبغي لنا ان نعيد ما لاحظناه من انصراف الطلّاب اجمالاً الى رصف الجمل الفارغة دون الاهتمام بالمعاني.

اما السبعة الباقون فاختاروا الموضوع الاول ، وهو يظهر اسهل الثلاثة لانه واضح التقسيم . ولكن لم ينجح فيه الّا طالبان اجتهدا في التخلّص من النقص العام الذي لاحظناه مرّات في اكثر المسابقات .

واما الموضوع الثاني فكان اصعب من ان يخوض فيه طلّاب لم يستعدّوا الاستعداد الكافي لمثل هذه الامتحانات[1] .

ويستنتج الحكم نفسه من تقرير السيد باريزو ، مقرّر لجنة اصلاح المسابقات في آداب اللغة الفرنساوية . فانه اشار الى اتكال الطلّاب على ذاكرتهم وما وعته من التواريخ واسماء الكتب والاشخاص دون الاهتمام باعمال عقلهم في درس الموضوع وتحديد اقسامه[2] . وكلها امور تنافي مبادئ التعليم الثنوي كما قدّمنا.

وكذلك كان رأي الاخ مارك ، مقرّر لجنة اصلاح مسابقات النصّ العربي ، او النقد الادبي[3] ، فقال :

« والذي برهن على ضعفهم (الطلّاب) وعدم فهمهم ما يُقترح عليهم هو

١) راجع النشرة المذكورة ... Loc. cit. p. 107
٢) ... Loc. cit. p. 97
٣) قد نعود فنفرد درساً خاصاً في قواعد النقد الادبي وكيف يجب على الطلاب ان يسيروا كي يتمكنوا من فهم القطعة الادبية ولمس ما فيها من الجمال اولاً ، ومن اظهار ما فهموه وما لمسوه ثانياً

انه قد طُلب منهم ان يشرحوا القطعة التي أعطيت لهم شرحاً يتناولها من الوجهتين النحوية والبيانية . فكان ان اكتفى العدد الاكبر منهم باعراب مفرداتها اعراباً نحوياً ، وبتحليل بعض عباراتها تحليلاً بيانياً . وانشأ غيرهم مقالات في النحو والبيان او في سيرة احد رجال العرب المذكور في القطعة ، مع انه لم يطلب منهم شيء من ذلك.»[1]

ولم تكن تقارير امتحانات الرياضيات والفيزياء والكيمياء لتخفف مرارة هذا النقد، بل بالعكس فقد ذكر المقرّرون ما لاحظوه من انحطاط مستوى الطلّاب العلمي سواء كان ذلك في المعلومات او في التنشئة الرياضية والطبيعية . وقد ظهر تأثير ذلك في النتيجة النهائية اذ لم ينجح الّا واحد على ١٦ في الفرع العلمي .

. . .

فنرى من ثمّ ان المسؤولية في هذا الفشل تكاد تنحصر اولاً بالوزارة لاسراعها في ابتداء الامتحانات قبل ان تترك لارباب المعاهد المدّة الكافية لتطبيق البرنامج الجديد ، وثانياً بالمعلّمين الذين لم يعوّدوا طلابهم طرق التفكير الصحيحة ، فجنحوا بهم عن اساليب التنشئة الثنوية الحقة ، وثالثاً بالطلاب انفسهم الذين تهافتوا على تقديم الامتحان ولا عدّة لاكثرهم الّا الغرور بسهولة نيل البكالوريا لأنها جديدة ، والامل برحمة الفاحصين .

اما نصيب البرنامج من كل ذلك فندرسه في مقال آخر .

---

(1) *Loc. cit.* p. 110.

رسالة قديمة

من رهبان دير البلمند الى رومية

نشرها حضرة الخوري قسطنطين الباشا ب. م.

بمناسبة ما كتبتموه عن هذا الدير ورهبانه في المشرق (٢٧ [١٩٢٩] ٦٢٤) رأيت ان ارسل اليكم هذه الرسالة لتتفضلوا بنشرها في مجلتكم الكاثوليكية تعزيزاً لما ذكرتم هناك عن الرهبان الكاثوليك في الدير المذكور. وهذه الرسالة منقولة عن سجلات مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية، نقلتها مع ما نقلت من هذه السجلات وقد تقدم لي كلمة عنها في المشرق (٢٧ : [١٩٢٩] ١٨٨)

وهي واضحة كل الوضوح في معناها ومبناها لا تحتاج الى شيء من الشرح والايضاح. ولكن ينبغي ان نستلفت نظر القرّاء النجباء الى الذين امضوا هذه الرسالة، فانهم كانوا من افاضل الرهبان المشهورين في ذلك العصر بالعلم والتقوى وكل فضل. وهم الذين عمّروا فيما بعدُ دير مار يوحنا الصابغ المشهور بجوار الشوير. والبعض منهم انتخبوا عن اهلية واستحقاق اساقفة ومطارنة، ورسمهم البطريرك اثناسيوس الدباس الذي توفاه الله تعالى في ٢٤ تموز سنة ١٧٢٤.

فان الخوري نصرالله منهم ارتسم اسقفاً على صيدنايا فيما نعلم سنة ١٧٢٢، وهو مشهور باسم ناوفيطوس نصري؛ ومات في رومية في ٢٤ شباط سنة ١٧٣١ برائحة القداسة.

والخوري مكاريوس المذكور رسمه البطريرك ذاته مطراناً على بعلبك باسمه مكاريوس والشماس جرجس رسمه مطراناً على حلب باسم جراسيموس، وقد قاسى اضطهاداً شديداً ونفي مرتين بسعي سلفسترس القبرصي. ومات سنة ١٧٥٤ ودفن في دير مار مخائيل بقرب الزوق من لبنان.

ثم ينبغي ان نعلم ان بلاد الكورة كانت تابعة لحكومة طرابلس في ذلك الحين ولم تكن النصرانية تتمتع فيها بالحرية والراحة كما في كسروان وبلاد الشوف، بفضل حكم الامراء بني شهاب، والمشايخ اصحاب الاقطاع من بني جنبلاط والخازن، وسواهم من النصارى والدروز.

وهذا نص الرسالة ننقله وننشره كما هو بالاصل بكل ضبط وتدقيق:

الى حضرة جلالة الكرادلة اصحاب مجمع انتشار الايمان المقدس .

... نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير قد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية وخاضعين دائماً للحبر الاعظم الكلي قدسه . الا اننا لم نجد في هذه الديرة اطلاق وعتق لتكميل السيرة لاجل خلاص النفس في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعدم نظام احوال الاديرة والرهبان . فأعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رسمتم تمنوا علينا وتأمرونا بان نحضر لعندكم لذلك الطرف ونستمنُ فضلكم بان تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدَّسة بمكانٍ صغير نتآوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها وتصدَّقوا علينا هناك بالقوت الضروري وثوب الزهد لكفاف الجسد حتى نخدم الله تعالى بمسكنتنا على (قدر) الامكان وندعي لجلالتكم السامية البهية .

سطر في دير البالمند من اعمال الكورة طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤

عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير	عبدكم الحقير
حنانيا	نصرالله	مكاريوس	جرمانوس	جرجس
الكاهن	الكاهن	الكاهن	الكاهن	الشماس
في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان	في الرهبان



دير سيدة طاميش

لحضرة القس انطونيوس شبلي اللبناني

٤

كتب خزانة الخطية (تابع)

٣١ كتاب انجيل (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) مجلَّد ضخم، ملبسة اطراف جلده بقطع نحاسية. وهو حقلان: سرياني وكرشوني، طوله ٣١س، وعرضه ٢١ س. وصفحاته ٦٨٣ صفحة. وقد علّق الناسخ على كل بشارة منه صورة صاحبها، مصوّرة بقلمه بالوان زاهية، وتاريخ وضعها، واللغة التي كتبت فيها البشارة. وقد كتبه الناسخ بحلب في سنين متقطعة على ما ورد في آخر كل بشارة. واليك ما جاء في اخره بالحرف الواحد:

« تمّ ونجز ما بشرت به الحواريون المختارين من تدابير السيد المخلّص لكل العالمين وهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا المبشرين بعناية الأب الازلي الذي لم تحدّه الاعوام والسنين مع الابن السرمدي خالق البرايا والعالمين والروح الحي القدوس العالي عن ادراك المتفيين اله واحد له العزّة والجبروت قادر قاهر حيًّا لا يموت . . . .

« فقد كان النجاز من هذا الانجيل المقدس نهار الثلاثا تاسع يوم من شهر ايار المبارك من شهور سنة الف وستماية وثلاثة وسبعين ١٦٧٣ لتجسُّد سيدنا يسوع المسيح له المجد امين. وكان ذلك في ايام سيدنا ومدبّرنا البطريرك مار اسطفانوس (الدويهي) من قرية اهدن الجالس على الكرسي الانطاكي وفي ايام ساداتنا المطارين المطران جرجس حبقوق البشعلاني ومطران يعقوب الرامي ومطران بولس الهدناني ومطران جبرايل البلوزاني مطران مدينة حلب. ومطران يوحنا التولاني ادامهم الله على روسنا زمان طويل ويرحمنا في بركة صلواتهم المقدسة امين.

« وتسطّر ذلك بمدينة حلب على يد احقر الناس وارذلهم انسان خاطي مسكين فقير

بائس ذليل غريب الحاوي الشرور والخطايا .... رزق(١ باسم شماس لا بالفعل ابن بطرس من عيلة بيت مرقس تلميذ المطران جبرايل المذكور وكتبت له هذا الانجيل المقدس واوقفته الى ديره الذي على اسم العذرا في مقاطعة كسروان (دير سيدة طاميش) بارض زوق الخراب الله يجعله مبارك ويصل الدير عمار الى انقضاء الدهر ... وكتبته وقفاً مؤبداً الى الدير المعمور وكان بدوه في بيت الخوري حنا المصروني وخلوصه (نهايته) في حوش مار الياس الوقف من زاريا جلي بمحروسة حلب . انا كنت في خدمة مطمي المطران جبرايل صاحب الانجيل . وهو كان يجمع البطركيّة في تلك السنة من جماعتنا الموارنة بحلب ... وهو الذي علّمني وتعب عليّ وربّاني الله يجازيه الخير....»

وعلى الورقة الثالثة البيضاء في اول هذا الكتاب عُلّقت هاتان الكتابتان بحرف كرشوني وترجح انهما بخط احد المطرانين جبرايل ومخايل البلوزيين وهما:

الاولى — «وجه تحرير الاحرف هو ان حضروا لعندنا يونس واخيه منصور واخيهم مسعد اولاد ابو يونس مسعد واوقفوا جميع ما يملكوا في الكسارة من كرم وتوت وعرايش وسليخ في الموضع المذكور اوقفوهم الى سيدة طامش (طاميش) وقفاً ثابتاً لم يتغير وذلك صدقة عنهم وعن ارواح امواتهم كي يتذكروا دائماً في الصلوات والتداديس الذي تتقدّم في هذا الدير المبارك . حرر ذلك سنة ١٦٩٤ ربانية»

الثانية — « وجه تحرير الاحرف هو ان اوقف القس جبرايل رمنون(٢ واخته علقتهم الذي في راس طاميش من توت وعريش وتين سيدة طاميش عن روحه وروح والديهم وقفاً ثابتاً كي يتذكروا في التداديس والصلوات الذي يصيروا في الموضع المبارك»

وهناك بعض صكوك لا نرى من حاجة الى اثباتها.

٣٢ مختصر الكمال المسيحي للسيد فرحات ، خطّ الشماس لطف الله مدولب من دلبتا ، سنة ١٧٩١ . وقد أُضيف اليه «بعض امثال نافعة جداً تأليف الشماس ابرهيم جلوان السمراني (تولا الضنيّة) تلميذ مدرسة الموارنة برومية سنة ١٧١٤ في ايام الحبر الاعظم البابا اكليمنضوس الحادي عشر وفي

---

١) سيم كاهناً وتوفي سنة ١٧٠٢ ، راجع مقالة حضرة العلّامة المدقّق الخورسقف جرجس منّش في كهنة حلب الموارنة (المشرق ١٧ [١٩١٤]: ٦٥) وما يليها

٢) هو من عائلة او انسباء يوحنا رمنون الذي حارت في هويته العلماء . راجع ما جاء عنه في الجامع المفصل ص ٣٣٩ و ٣٤٨ . وما كتبه حضرة المؤرخين القس يوسف حبيقه وعيسى اسكندر المعلوف في مجلة «رسالة السلام» في السنة الماضية ، وفي جريدة «العلم» بعددي ٣٦٣ و ٣٦٥ من سنة ١٩٢٩ ، وما كتباه عن هذا الرجل لم يكشف حقيقة امره بتمامها .

ايام رئاسة سيدنا مار يعقوب بطرس بن عوّاد الحصروني البطريرك الانطاكي على ملتنا المارونية...» وهذه الامثال عبارة عن ١٩٣ خبرًا روحيًا . وهو مخروم من آخره .

٣٣ كتاب رتبة القداس الذي يتلوه الكاهن الماروني . يحتوي نحو ٢٧ نافورًا للرسل والشهداء والمعترفين والقديسين والاحبار والملافنة ، ولاحاد الصوم والصعود والعنصرة... الخ . جاء في آخره :

«كمل نسخ كتاب القدّاس المبارك في رومية العظمى على يد احقر عبيد الله القس يواكيم التزيري الراهب اللبناني في ٢١ آب سنة ١٧٦٠ في ايام حبرويــة قدس سيدنا البابا اقليموس الرابع عشر وايام قدس سيدنا البطرك طوبيا الخازن . قد كتبته عن مسودّة المثنيور السماني الفريد عصره»

وقد صدّق على هذا الكتاب البطريرك يوسف التيان ووقّع عبارة التصديق عليه بامضائه وختمه وهذا نصها :

«صح . قد فحصنا هذا الكتاب بكل تدقيق ورأيناه مطابقًا طقسنا الماروني ومن ثمّ سجّلناه واذنّا لمن يريد يقدّس فيه لا مانع عليه . صح . تحريرًا في ١١ شباط سنة ١٨٠١»

الحقير
يوسف بطرس تيان
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

الختم

٣٤ كتاب الدرر المنظومة من الاصداف في علم النية وطريقة الاعتراف . قد استخرجه من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية البادري اغناطيوس كليسون اليسوعي بمدينة حلب سنة ١٧٦٠ . خطه بالكرشوني القس جرمانوس الاشقر في دير مار انطونيوس النبع ، بيت شباب ، سنة ١٧٧٥ . ومنه نسخة اخرى بخط عربي كتبت سنة ١٧٨٣ ، تقع في ٣٢٦ صفحة بقطع كبير .

٣٥ كتاب «دلايل الايمان الحقيقي المستخرج من كتب اللاهوت والفلسفة ومن الكتب الالهية والاباء القديسين . قد جناه واعتنى بجمعه وتأليفه الحقير في رهبان اليسوعية اغناطيوس كليسون اليسوعي» كتبه بالعربي القس جرمانوس الديراني اللبناني بدير قزحيا في ٧ حزيران سنة ١٧٦٧ .

٣٦ كتاب الانجيل الذي رتبه ونظّمه المطران جرمانوس فرحات .

٣٧. تفسير انجيل مار يوحنا الرسول لكورنيلوس الحجري اليسوعي. مجلّد ضخم. نسخة بخطٍّ عربي كتاشي جميل فرنسيس سكَّر الحكيم الدمشقي بمصر القاهرة سنة ١٧٧٨. وهذ الكتاب كان للقس توما صيداوي[1] لبنانيّ.

٣٨ كتاب الاول في اللاهوت «تأليف الاب الفاضل والمعلم الماهر السيد الكلي الاحترام المنسيور يوسف السمعاني تلميذ مدرسة الموارنة في رومية.» مخطوط بالكرشوني، وقد احرق الحبر ورقه. جاء في اخره:

«كمل وتمّ الجزء الاول من اللاهوت على يد احقر الناس باسم قس اسطفان البحليداتي الراهب اللبناني وكان ذلك في ايام رئاسة ابينا القس يواصاف (البسكنتاوي) رئيس على دير مار بطرس ومرجلّينوس في رومية العظمى وهو منسوخ على النسخة الاصليّة المصنَّفة من الخوري يوسف شمعون المعلّم الماهر الماروني ونجز تسطيره في ١٠ شهر آب سنة ١٧٣٥»

ولهذا الكتاب نسخة اخرى مخطوطة بيد القس افرام دير الاحمر اللبناني سنة ١٧٣٧.

٣٩ كتاب الالهيات: الجزء الاول، تأليف القس واصاف البسكنتاوي خطّه بالكرشوني القس افرام من دير الاحمر من بيت ابو شواح الراهب اللبناني في عهد رئاسة عام الاب توما اللبودي على الرهبانيـة، ورئاسة مؤلفه القس واصاف على دير مار بطرس ومرجلينوس في رومية، سنة ١٧٣٧ في ٢١ آب.

٤٠ كتاب العلل لدفع الملل او التلاوات العقليّة تأليف المفريان اسحق جبير[2] المرتدّ من اليعقوبية الى الكثلكة. يقع في ٥٤١ صفحة بقطع كبير. اشتراه احد الرهبان اللبنانيين من المطران باسيليوس البجّاني سنة ١٧٢٢. وهو بخطٍّ كرشوني.

---

١) لقد خدم هذا الاب الموارنة في مصر بناء على امر البطريرك يوحنا الحلو، على ما جاء في كتاب «تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري» للقس بطرس خوري الراهب الحلبيّ اللبناني ص ١٠٠، ولا نعرف احداً غير القس توما من ابناء رهبانيتنا اللبنانيـة خدم الرسالة المارونية في مصر، وكان وكيلاً بطريركيًّا

٢) اطلب ترجمته في المشرق سنة (١١ [١٩٠٨] ٢٨٦–٢٩١) وقد اهدى الينا حديثًا نسخة من هذا الكتاب حضرة الاب يوسف حبيقه رئيس معاملة المتن، مكتوبة بقلم الشدياق حنا مرتينوس شهوان من غوسطا، معلّم الاولاد في زوق مكايل، سنة ١٨١٦، في ٧ تشرين الاول. وقد أضيف اليها كتاب الزهرية الشهريّة للمفريان المذكور

٤١ كتاب في الاسرار (لاهوت) «ألّفه القس يواصاف البسكنتاوي الراهب اللبناني لافادة اخوته الرهبان اللبنانيين» خطه بالكرشوني الاب مبارك، وذلك في رومية العظمى سنة ١٧٤٢

٤٢ كتاب في اسرار الكنيسة، يشتمل على سبع مقالات وكل مقالة تُقسم الى فصول. جاء في آخرهِ: «تم هذا الكتاب المبارك على يد انسان خاطي باسم اندراوس بن سمعان القبرسي في مدرسة الموارنة سنة ١٧٠٧ برومية الكبرى...»

٤٣ كتاب منطق يسمّى «دالول منطيقي مهدي في السبيل الحقيقي» يحتوي القسم الاول من المنطق الذي يُدعى الايساغوجي وهو المنطق العلميّ. بخطّ عربي قديم، ثقب الحبر والعثّ سطوره. لا ذكر فيه لمؤلفه وربما كان للتولوي.

٤٤ المعلّم الاديب للمسيحي المستفيد. «او تعليم المسيحي او طريق الحياة المسيحية المنتخب من الكتب المقدسة واقوال الآباء القديسين وقد ثبت واتضح بالحقايق والامثال وعجايب القصص ويشتمل على فصول عديدة.» وهو بخطّ عربي قديم ايضاً، وغفل من اسم المؤلف والناسخ، وعلى عبارته مسحة من العربية الفصحى.

مجلة المجلات

للاب توتل اليسوعي

البابا والارثوذكسية

يروقنا ان نلخص ما كتبه السيد المطران دربيني في رسالة قلب يسوع الافرنسية (١٩٣٠ : ٢) عن الاتحاد الكنائسي الذي اتخذته رسالة الصلاة موضوعاً « لنية » شهر كانون الثاني. والسيد دربيني ، رئيس المعهد الشرقي البابوي ، زار الكنائس الشرقية في العام ١٩٢٨ ، وتحدث الى الطيب الذكر البطريرك غريغوريوس حدّاد ، مقترحاً عليه ارسال شبان او كهنة من الطائفة الارثوذكسية الكريمة ، يطلعون على محتويات المكتبة الفاتيكانية العلمية ، ويقفون على الحركة الفكرية في المعهد الشرقي البابوي . وكان غبطة البطريرك المتوفى قد وعد بتلبية دعوة الاسقف اللاتيني عند ما تسنح الظروف لذلك (راجع الهدية ٢ ايلول ١٩٢٨)

قال السيد دربيني :

لو ان كاتباً دوّن عناوين ما عمله البابا بيوس الحادي عشر في سبيل اتحاد الكنائس الشرقية بالكنيسة الرومانية ، لاتى بمجلد تزيد صحائفه على صحائف عدد من اعداد مجلة رسالة قلب يسوع الافرنسية .

ان الانفصالات والهرطقات والانشقاقات متأصلة في روح القومية والانفراد الشخصي. وقد تضرب تلك الروح غشاء على العيون ، وتعذر بعض العذر القوّاد الثانويين من سمعوا الى اصوات التمليق وفقدوا نفوذهم الفكري وانقادوا الى هوى رعاياهم .

لامثال هؤلاء المرشدين التائهين ذكر محفوظ في تاريخ كنائس افريقية الشمالية ، هو ذكر آلامهم ونتائجها . وانهم ، عن غير علم منهم ، فتحوا

السبيل الى الحملات البربرية الوندالية ، ثم الى الفتوحات الاسلامية مما نتج عنه خراب المسيحية في افريقية الشمالية لقرون انافت على العشرة. من اجل هؤلاء وامثالهم صلى المسيح قائلاً: « ليكونوا جميعهم واحداً »

ان الكنيسة الرومانية لم تنفك قط عن السعي في سبيل تلك الوحدة. واذ يدور محور كلامنا اليوم على قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، فحسبنا التنويه ببعض مآتيه في ذلك الشأن لنكون على بصيرة من صدق ما قدمناه .

من نظر الى مجهودات البابا نظرة سطحية توهم انها اخفقت في مساعيها ، وحكم بانها اثارت حركة مقاومة اعنف منها اليوم مما كانت سابقاً . لكنما هي الاعمال الاساسية ، الشاقة ، الصعبة ، فان تركز على الصخر فلن تتزعزع .

لا ينقضي العام الا وصوت الاب الاقدس يحث الكثلكة جمعاء على الاغراق في الصلاة طلباً من المسيح ان يرد الوحدة لكنيسته . وها ان جنود البابوية يستميتون بالمئات في سبيل الوحدة: الصعوديون بالجهاد الرسولي والعلمي ، والشاهد عليهم في ذلك نشرتهم « اصداء الشرق » . الدومينيكان في ارمينية والموصل ، وقد فتحوا حديثاً مدرسة اكليريكية في فرنسة وادخلوا بعض رهبانهم في الطقس السلافي ليسموا في سبيل رد السلافيين الى الوحدة . وهؤلاء اجمعون لهم مراكز في روسية يعملون فيها على بث روح الوحدة . الاباء البندكتيون ومدرستهم الاكليريكية السريانية في اورشليم واليونانية في رومة. الآباء المخلصيون للقديس ليغوري ، ورسالاتهم في بلاد الاوكران الروسية . الآباء الكرمليون ، واللعازاريون ، والفرنسيسكان ، والكبوشيون ، والكونفانتوال ، والآباء البيض ، والآلاميون : هؤلاء اجمعون يبذلون جهدهم في خدمة الكنائس الشرقية . الرهبانية اليسوعية العاملة منذ نشأتها في الهند ، وتركية ، وارمينية ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وبلاد الحبشة في سبيل الاتحاد ، والمعهود اليها اخيراً بتدبير المدرسة الروسية والمعهد البابوي الشرقي .

واخيراً الباسيليون وغيرهم من رهبان وكهنة شرقيين مع اساقفتهم وبطاركتهم المجاهدين في مجامعهم ومشاريعهم تلبية لنداء الاب الاقدس في سبيل الوحدة . فان اصواتهم تبلغ الى آذان الاخوة المنفصلين مأنوسةً بوحدة

اللغة والتقاليد .

وفي كل عام يوم دومة رهط من الكهنة الغربيين او الشرقيين المتوقدين غيرةً على الاتحاد، درساً لوسائل الوصول اليه وها ان المعهد البابوي الشرقي لهؤلاء ولغيرهم من الوف المسيحيين الغُيَر على ردّ وحدة الكنيسة الجامعة الى ما كانت عليه سابقاً، قد انشأ مجلة خصوصية اسمها : الشرقيات المسيحية *Orientalia Christiana* . وهناك جمهور من المؤمنين خاصة في الولايات المتحدة في اسبانية يجودون عن كرم واريحية، ليس فقط بصلواتهم، ولكن بالمبالغ المالية الكبيرة ليوفروا بين يدي اب المؤمنين العام وسائل السعي والنجاح في سبيل الاتحاد.

نكبة ازمير الكبرى ونتائجها

عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية بتوقيع فلفريد بوست باختصار (١٩٢٩ : ٣٦٩)

أُحرقت ازمير في ايلول ١٩٢٢ ، وما زال اوارها مضطرماً في مخيلة الذين شاهدوا ذلك الحريق الهائل. النار والسيف والسبي ساقت بقايا اليونان والارمن الى رؤوس السواحل ومتسعات الشواطئ . ولولا رحمة الباري لامتدت ألسنة اللهيب والتهمت الهاربين قبل صعودهم الى متون المراكب . ولكن هبت ريح من البحر فطيرت عنهم شرارات النار ، وحالت بينها وبين المسيحيين . ثم همدت النيران ، وانطفأ الحريق ، ونُقل جمهور من نجا من نكبة ازمير ، بعضهم الى بلاد اليونان ، وبعضهم الى جزر بحر ايجه . وبات الوف غيرهم في داخلية البلاد فريسة للجوع والامراض ، ولم يخلص اخيراً من هؤلاء الا ارهاطٌ تمكنوا من البلوغ الى بلاد اليونان بعد تيه عظيم في بلاد الاناضول.

عقب حريق ازمير مذاكرة « مودانية » وهي البلدة الواقعة على شاطئ بحر مرمرة . وبتلك المرة ايضاً كان التحاسد وقلة الثقة المتبادلة اقوى مساعد للاتراك على الاوربيين . حفظت تركية القسطنطينية وملحقاتها ، وفيها تراقية الشرقية ، وفُتح لها باب لمطاردة المسيحيين اجمعين من حدودها . مليون من البشر اجلوا عن البلاد مسقط رأسهم . فمات منهم من مات ، ونجا من نجا ، وحلّ محلهم الاتراك المحمديون بعد ان أُرغموا على الاجلاء عن البلاد والجزائر اليونانية ،

وقد هاجروها آسفين .

شهدنا المأساة فتطايرت لها البابنا لوعةً وشفقة . لقد بطشت تركية برعاياها الغير المسلمين بطشاً لم نعهد له سابقاً ومثيلاً . ولم تكن وحدها الظالمة في تلك المأساة لان تبعة احراق ازمير عائدة على اوربة ايضاً وعلى اميركة نفسها . وما كان ايسر حماية ازمير دون نكبات السيف والنار !

دخل الاتراك ازمير ، وفي مرفأها ١٥ او ٢٠ سفينة حربية بين اميريكية وانكليزية وافرنسية وايطالية . لو ان ذلك الاسطول الضخم رفع علم المدنية في وجه الجيش الكمالي ، واعلن نصرته للعمران على البربرية ، لكان قد اتّقى مؤونة شرور كثيرة . لو ان قائد المتحالفين العام لفظ كلمة واحدة ، لردّ سيف الاتراك الى غمده ، واطفأ اللهيب في اول شعلته . لو ان المتحالفين اتفقوا على المبدأ الانساني القائل بصيانة الاعراض ونصر الضعيف واسكتوا في صدورهم صوت المجاشع ، لبلغت الى قلوبهم اصوات اللاهفين وقاموا يردّون الاتراك على اعقابهم ملجئينهم الى الخلود الى الامن والسلم في بلادهم الاسيوية . وما كان بالعسير عليهم آنذاك ان يقيموا القسطنطينية قاعدة لحكومة مستقلة اشبه بحكومة سويسرة ، فيجعلوها محطة سلم وراحة يتلاشى فيها التصادم بين الشرق والغرب ، ويخفق عليها لواء السلم فيمتد ظله الى اقاصي الشرق الادنى ويكتنف بحمايته ارضاً يلم فيها الارمن شتات امتهم ويعيشون آمنين ، متصلين بالبحر المتوسط والعالم الغربي .

لقد حدث سابقاً ان تحركت الامم المتمدنة بعاطفة الانسانية الفطرية واجمعت آراءها ومجهوداتها ، فارغمت الاتراك ، في الشرق الادنى ، على تحويل بعض الحرية جزءاً من البلاد السورية ؛ اعني به لبنان . تحرر لبنان عام ١٨٦٠ من الحكم التركي المباشر ، وصار مقاطعةً امينةً غنية ، ونعيماً للمسيحيين المضطهدين . اما اليوم فروح الانانية اصبحت اقوى من ان تضحّي بالمصالح الخاصة في سبيل العمران العام ، ففرقت بين المتحالفين وادّى امرها الى نجاح الاتراك وفوزهم .

على ان عناية الله الجواد تستنتج من الشر خيراً . لقد أتت بلاد اليونان ،

تحت وطأة المهاجرين وعددهم مليون . ولكن ما لبثت ان اقتسمتهم وتوزعتهم وظفتهم في الصناعة والاقتصاديات . حلت جماهير الارمن سورية فما عتموا ان خاضوا ميدان الجهاد بعزمهم المعهود وثباتهم على المشقات ، فحفظوا حياتهم القومية وايمانهم المسيحي ووضعوا في كفة الميزان ثقلاً قلّل من تباين المناسبة بين العناصر الدينية ، وادى الى التوازن الاجتماعي اذا ما ضُرب تعادل الحقوق بالنسبة الى عدد النفوس في الاديان .

وانتجت تلك الحوادث بعض الخير لتركية نفسها : حُرّم تعداد الزوجات وفُكّت قيود المرأة من تظلم الرجل الصارم في الطلاق ، وكسرت شوكة العلماء المتعصبين ، وأُسفر عن وجوه النساء فاستبشرن بنور الحرية ؛ وخلع الطربوش عن عرشه فتساوى التركي والاوربي زياً ، عسى ان يتساويا ثقافة وعلماً ، ونبذت الابجدية القديمة الصعبة وابدلت بالابجدية اللاتينية سداً للحوائج العصرية .

تحرير المرأة في تركية

عن مجلة الدروس الاسلامية الافرنسية (١٩٣٩ : ١٦٣)

لم تبتدئ حركة تحرير المرأة في تركية الا بعد تنظيم حزب الاتحاد والترقي في السنة ١٩٠٨ ، وكانت غاية التنظيمات الاولى التي ادّت اليها تلك الحركة ان تنال بعض الحريات للمرأة : التعليم على درجاته المتوسطة او العليا ، المساواة في البيت والاسرة ، الحرية في السفور وفي انتخاب العمل . واخذت تتألف في القسطنطينية اندية ادبية وجمعيات خيرية ، وظهر في العالم التركي نساء نلن بعض الشهرة في التأليف وفي المشاريع الاجتماعية .

ولكن لم تبلغ تلك الحركة اقصى درجات رواجها الا في الحرب الكبرى ، اذ تألفت جمعيات لمساعدة العسكر في جبهة القتال ؛ وعند احتلال اليونان ازمير ، لما تآمرت النساء التركيات على رفع الاصوات بالاحتجاج .

ومما ساعد كثيراً على استئصال شأفة العادة القديمة الحائلة دون نجاح الحركة النسائية ، هو اشتغال النساء في الوظائف اللاحقة بخدمة الجيش ما وراء المعسكرات ، وفي الدوائر والمصارف والمخازن . في تلك الحالة الاجتماعية

الجديدة التي ولدتها الحرب العظمى ، لم تلبث المرأة التركية ان نالت مقاماً قديراً، ومثلت دوراً لم تتعلمه من صباها . فانها ناضلت نضالاً غرضه حرية البلاد وحقوق المرأة. ولما قررت حكومة انقرة فتح مدارس ابتدائية مختلطة للجنسين فُتح في الوقت عينه باب التعليم العالي للنساء . وتألفت الجميات النسائية حتى اصبح عددها ١٥ في السنة ١٩٢٠ ، وغرضها مساعدة المرأة على الرقي وتهيئتها لدخول المعاهد العليا او الجامعات.

وفي اوائل سنة ١٩٢٣ انشئ حزب جديد اسمه « مدافعة حقوق نسوان » اسسته نزيهة محيي الدين هانم المعلمة ، وابنة رئيس محكمة التمييز في الموصل. ولم تكن تلك الحركة لتنمو وتبلغ غايتها من غير مساعدة الحكومة . وهذه المساعدة اتتها بفضل التجدد الذي احدثه مصطفى كمال الغازي في تركية. اول ما اهتم به هو تغيير الازياء. ففرض على الرجال لبس القبعة ، وعلى النساء السفور (ايلول ١٩٢٥) واقرّ القانون الجديد الذي وضعه المجلس الوطني الاكبر في انقره في النظام الشخصي النسائي الجديد. فابدلت مراسيم الطلاق القديم بمراسيم جديدة منها ان عقد الزواج المدني يجب ان يسبق عقد الزواج الديني في الاديان جميعها. وان زواج الوصي والقاصر محدود ضمن ١٨ سنة للرجال و ١٧ للنساء ، وانه لا حرج البتة في فسخ الخطبة.

ولم تكتفِ جمعية اتحاد النساء التركية بتلك البنود بل طالبت ايضاً بالمساواة الكاملة بين الجنسين وحقوق المرأة السياسية . فاحتجّ من ثم والي القسطنطينية ، قائلاً ان المرأة خُلقت لولادة البنين وتربيتهم ، لا للسياسة والوظائف. فلم ينل على قوله رضى الحكومة ، وصار هدفاً لغيظ نادي الفتيات . على ان تطلّب المرأة التركية الحقوق السياسية لم ينل غايته بعد ، ولا تزال الصحافة تتناقش بامره.

شذرات

جوازات السفر

سورية ولبنان بلاد الاتصال والسفر والنقل بين الشرق والغرب ، ولذلك يهمنا كل ما يتحدث به الناس من الامور المسهلة الاسفار. وقد جاء في النشرة «جورنال دي ديبا» الافرنسية ما يلي :

«تشكلت في باريس لجنة دأبها النظر في المعاطاة مع الاجانب ، وهي تبحث في الوسائل الواجب استعمالها لشدّ عرى الاتفاق بين الشعوب ، تسهيلاً للسفر ، ولنقل رؤوس المال والبضائع . وقد ذكرنا السفر اولاً اعني تنقل الانسان من مكان الى مكان ، والانسان ملك الخليقة الارضية ولكن ، بالحقيقة ، صرفت اللجنة همها الى العناية بالاشياء اكثر منها بالانسان . فان اهل الصناعة والتجارة اكترثوا للصناديق والحزم والطرود اكتراثاً لا يتخلله فكرة عطف على المسافرين المساكين ، كأن ريح مباغضة الاجانب هبّت على البلاد ، ولفحت كل رجل تأبط متاعه للسفر ، حتى في بلاد الانكليز الشهيرة بحسن تصرفها مع الغريب.

«هل من يعرض هذه الاسطر على اللجنة الساعية في شد عرى المواصلات بين الشعوب ، فتخفف عبء الضرائب الموقرة كاهل المسافرين ، وتشمل الانسان بالعناية التي تشمل بها السلع في حركة النقل . منذ ٧٠ او ٨٠ سنة كانوا قد الغوا جوازات السفر في البلاد الراقية . وكان موظف واحد في لندن يقوم بمهمة التأشير على اوراق المسافرين فلا يوقع الا ٢٥ او ٣٠ تذكرة يومياً : انما هي المسافرين الى روسية ، او الى امثالها من البلاد الغير المقصودة كثيراً . ولكن اليوم نرى جيشاً من المرتزقين من مهنة التأشير مقيماً على ابواب الثغور . وليست تبعة الامر مما يلقى على الحكومة البريطانية ، ويوجد منذ العام ١٩١١ ، في انكلترة بين اعيان موظفي الوزارة ، من يحتج على القساوة الجارية في معاملة الاجانب المسافرين . »

عرّبنا المقال مختصراً ونحن نتمنى ان تخفف حكوماتنا من الرسوم المتقاضاة على تأشير جوازات المسافرين ، فلا تعوق حركة السفر ، خاصة ما بيننا وبين فلسطين . ولعل التنويه بالامر اتى في محله ، اليوم ، والازمة العربية الصهيونية دفعت جمعية الامم الى معالجة شؤون الاراضي المقدسة ؛ وان تسهيل السفر اليها لزيارتها ليس من اقل مشاكلها اهمية .

من معارك العرب

جاء في الاغاني (٣ : ٧) من الطبعة الجديدة :

جلس رسول الله (صلعم) في مجلس ليس فيه الا خزرجي . ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ، يعني قوله :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهبِ لعَمْرة وحشاً غيرَ موقف راكبِ

فانشده بعضهم إياها ، فلما بلغ الى قوله :

اجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعبِ

التفت اليهم رسول الله (صلعم) فقال : « هل كان كما ذكر ؟ » فشهد له ثابت بن قيس بن شماس ، وقال له : « والذي بعثك بالحق ، يا رسول الله ، لقد خرج الينا يوم سابع عُرسه عليه غِلالة وملحفة مُوَرَّسة ، فجالدنا كما ذكر . »

هكذا في هذه الرواية . وقد اخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمي مُصعب قال :

لم تكن بينهم في هذه الايام حروب الا في يوم بُعاث ، فانه كان عظيماً ، وانما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة ويتضاربون بالخشب . قال الزبير : وانشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم :

اجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدي بالسيف مخراق لاعبِ

فضحك وقال : « ما اقتتلوا يومئذٍ الا بالرطائب والسَّعف . »

مطبوعات شرقية جديدة

Jedermanns Bücherei. *Breslau, F. Hirt.*

1. **Unger (E.)**: Assyrische u. Babylonische Kunst. 140 *pp.*, 103 *fig. phot.* 1926.

2. **Wellesz (E.)**: Byzantinische Musik. 96 *pp.*, 18 *reprod. phot.* 1927. *Chaque volume relié : 3 M. 50*

١ – الفن الاشوري والبابلي
٢ – الموسيقى البيزنطية

سبق لنا ان قدّمنا الى قرائنا الكرام بعض مجلدات من هذه المجموعة وها اننا نذكر اليوم مجلدين يهمان بنوع خاص شرقنا العزيز:

يلحق الاول بمجلد سابق نشره المؤلف نفسه عن الفن الشومري والاكدي (البابلي القديم) فاردفه بهذا باحثاً عن الفن الاشوري الذي لم يكن معروفاً حتى اليوم بظاهره القديمة، ثم عن الفن البابلي الحديث منذ عهد بختنصر الشهير. هذا وان العهد الاشوري العريق في القدم لم يُعرف الّا مؤخرًا بفضل ما أجري من الحفريات الالمانية الجزيلة المنفعة في اشور، فاظهرت ان هذا الفن في بدء امره في الالف الثالث ق.م.، كان مديناً للفن الشومري. وانه تأثر بعد ذلك بمؤثرات الفن الحثي. ولكنه تخلص منها شيئاً فشيئاً حتى وصل الى نضوجه في اوائل الألف الاول ق. م. والى هذا العصر ترتقي روائع الفن الاشوري بما فيها من الدقة في التصوير والنجاح بتمثيل آية السلطة والقوة التي ميزت الامبراطورية الاشورية في مجال السياسة. يدرس السيد أنغر كل ذلك ملخصاً هذه العصور المختلفة عن علم واسع ودقة وابتكار، مردفاً اقواله بمنتخبات موافقة من آثار ذلك الفن. وقد لفت نظرنا في كتابه فصل طريف وجزيل الفائدة تكلّم فيه عن «المتاحف القديمة» اي عن المجموعات التي كان يحتفظ بها بعض الملوك مما كان يقع تحت ايديهم من الآثار الفنية اثناء الحروب كالتماثيل والرُقم وما شاكل. وله فصل آخر يزيد على ذلك غرابة دعاه «كتاب تسلسل الشرق» درس فيه الآثار المصرية والاشورية المحفورة في نهر الكلب. على اننا نعتقد ان المؤلف

يبالغ في حكمه اذ يرى في القوش ذات التوبيج المستطيل اثر الملوك الأشوريين حوالي سنة ٢٠٠٠ ق. م.

اما المجلد الذي خصّه السيد ولز ، الاستاذ في جامعة ڤينة ، بدرس الموسيقى البيزنطية فانه يهمّ دون شك موسيقيينا الشرقيين وخصوصاً الاكليريكيين من الروم الملكيين. وقد توصّل المؤلف ، بعد غيره ، الى نتائج مقرّرة في ما خصّ قراءة العلامات الموسيقية التي ضُبطت بها المخطوطات البيزنطية من عهد قديم (القرن العاشر) وتتابع استعمالها حتى عصرنا. وقد اختار المؤلف سلسلة من التراتيل الكنسية اوردها بالعلامات الموسيقية العصرية ، واردفها بعدة لوحات صوّر فيها عصراً فعصراً ، بعض الصفحات من المخطوطات المُلمّة. وختم الكتاب بسلسلة مفيدة من المآخذ. كانت هذه اول مرة يدرس فيه الموضوع بطريقة شاملة تستحق التهاني. س. ر.

Pace (Biagio): Camarina. Topografia, storia, archeologia. *XI-165 pp. gr 8°, 69 illustr. et 2 cartes topogr. Catania, Tirelli,* 1927.

كامرينة : تخطيطها وتاريخها وعادياتها

ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٢٧ في مجموعة علمية اسمها «صقلية القديمة» ؛ وهو يستحق ان نلفت اليه نظر القرّاء الكرام كالى مثال عالٍ للتأليف في التاريخ الموضعي وما اليه من علم التخطيط والعاديات. اما كارينة التي هي موضوع الكتاب فتقع في الجانب الجنوبي الغربي من جزيرة صقلية. وقد بحث في آثارها اولاً شوبرنغ (Schübring) ثم الاثري الصقلي الكبير باولو اورسي (Orsi). وكان السيد پاتشي ، وليد المنطقة نفسها ، اجدر من يقوم ، بعد ان اجرى الحفريات في تلك الناحية ، بتلخيص اعمال سلفائه وتكملتها. فقام بذلك خير قيام ودرس ، في صفحات ملأى بالمعلومات ، تخاطيط المنطقة التي يعرفها جدّ المعرفة ؛ ثم تطوّرها في العصور السابقة للتاريخ حتى تأسيس المدينة المعروفة باسمها على يد سيراكوز سنة ٥٩٨ ، ثم الدور التاريخي الذي مثّلته في ما ولي من العصور ، وما قامت به من الحروب ضد قرطاجة خاصة ، وخرابها على يد

رومة في القرن الثالث ق. م. ، ثم ذكر الحوادث المحليّة التي تتعلق بها من ذاك التاريخ حتى ايامنا تقريباً. اضاف الى ذلك ذكر الآثار والمقابر الباقية منها ، ودرس العملة التي كانت تتداول فيها ؛ واردف المجلد بخارطتين لتخطيط الناحية واحدة منهما بقياس كبير ، فزاد قيمة تأليفه النفيس . فللمؤلف وللناشر تهانينا. س. ر.

P. Gentizon : Mustapha Kemal ou l'Orient en marche. *in*-8°, 350 *pp. Prix* : 30 *fs. Paris, Editions Bossard*.

مصطفى كمال او الشرق السائر

غاية المؤلف ان يمدح كل ما حصل من التغيير في تركية في السنين الاخيرة، فدلّ بذلك على نوع من العقلية الغربية يدفع الاوربيين الى الاعتقاد انه يكتفي لبلد ان يتخذ ما يدعونه « بمدنيتنا » فيحوّل حكمه الى جمهورية ويعلن علمانيته حتى يستاهل المدح دون تحفّظ . وان عدم التحفظ هذا شائبة في الكتاب لانه يحمل صاحبه على عدم التحقيق في احكامه ، وعلى الانصراف عن الاتمام في استقراءاته. ولا يكفي ان «يقلب الشعب جلده» كما يقول المؤلف في المقدمة ، بل يجب ان ايضاً ان ننتبه لما تجرّه هذه العملية من المخاطر . اقام المؤلف خمس سنوات في تركية ، فكان يُرسل يوماً فيوماً الى جريدة « الطان » بما يحدث من الانقلابات والتغييرات في ذاك « الشرق السائر » . ولهذا فان معلوماته مفيدة من حيث تاريخيتها ويمكن الاحتفاظ بكتابه كواحدة من مستندات المسألة الكمالية التي لم يُعرف بعد مبلغ تأثيرها في المستقبل. ج. ل.

Morichini (Ugo) : La civiltà mediterranea. *in* - 16, 288 *pp.*, 1928. *Prix* : *L.* 20

مدنية البحر المتوسط

يدرس المؤلف في هذا المجلد الجميل المظهر ، سرّ مدنية البحر المتوسط ، ويظهر لوطنيّيه الاسباب التي دفعت ايطالية الى ان توحّدها مرتين . فيلخص في فصول موجزة تاريخ الشعوب القديمة التي نشأت على شواطئ المتوسط ، وما دفع ببعضها من المطامع الى التوسع والسيطرة على الجيران ، حتى نهضت رومة

فكسفت الجميع ببساطتها وبنا ثرته من النفوذ الروماني. اما النتيجة من كل هذه التذكارات المروضة بعناوين رنانة فتظهر للمطالع بسرعة، فيدرك غاية المؤلف، وهي ان التاريخ يعيد نفسه وذلك قوله ص: ٢٩٧ «ان ايطالية سوف تحلّ تلك المسألة القديمة بتوحيد الموازنة من جديد.» ج. ل.

Bendinelli (G.) : Torino romana. [*Bibliotheca magistrale*] 63 *pp. in* - 12°, 1 *plan et* 55 *reprod. phot. Torino, Paravia.* 1929.

تورينو الرومانية

يلخص هذا الكتاب، بحجم لطيف سهل الحمل، سلسلة من الابحاث عن تورينو الاوغسطية القديمة، مع خريطة بالآثار الرومانية، ومجموعة جميلة من الصور الشمسية من مناظر، وخرائط، وعاديات. فيظهر مثالًا حسنًا للبحث العلمي المعروض لجمهرة القراء. ذكر فيه المؤلف المآخذ الكافية للموضوع، ثم لخص تاريخ الناحية القديم، فوصف تأسيس المدنية على يد الرومانيين، فتقلبات تاريخها في عصر الامبراطورية والعصر البيزنطي، حتى ايامنا هذه. وانه لمن السهل على من زار تورينو ان يرى كيف ان الماضي يعد المستقبل في تاريخها. ومما يجدر بالذكر ان هذه الحقبة الاخيرة دفعت الكثيرين من العلماء الشبان في ايطالية عمومًا الى احياء معالم مجدهم الغابر. فقام السيد بنديتلي بهمته قيامًا يفتخر به مواطنوه ويستفيد منه الاجانب. س. ر.

P. de Sury d'Aspremont : La Presse à travers les âges, France, Allemagne, Angleterre, Etats-Unis. *in* - 12, 268 *pp. Paris, Desclée, de Brouwer et Cie*, 1929.

الصحافة في عصورها المختلفة في فرنسة والمانية وانكلترة والولايات المتحدة

مارس مؤلف هذا الكتاب تدريس صفّ خاصّ بالصحافة في جامعة فريبورغ في سويسرة، فجمع معلوماته النفيسة، متتبعًا سير الصحافة منذ نشأتها، اذ كانت بذرة صغيرة حتى نموّها الحالي، وهي شجرة عظيمة تشدو فيها بلابل الدنيا وبغاواتها ايضًا، كما يقول المؤلف. على انه حصر ابحاثه في صحافة فرنسة والمانية وانكلترة والولايات المتحدة، وهو موضوع فسيح خاض فيه عن علم

وجدارة فذكر كل مـا تهمّ معرفته من المعلومات الدقيقة والميّزات الفارقـة لصحافة كل من البلاد المذكورة. وهو يعتبر ان للصحافة بعثة خاصة في تهذيب المجتمع وللصحافيين واجبات كثيرًا ما لم يتنبهوا لها لسوء الحظ . وعلى الجملة ان الكتاب ضروري لكل من طمح بانظاره الى الانخراط في سلك الصحافيين. ج. ل.

J. Rivière : Monseigneur Batiffol 1861 - 1929. *in* - 12, 95 *pp.* *Paris, J. Gabalda et Fils*, 1929.

ترجمة المونسنيور باتيفول

هي ترجمة حسنة تُظهر المحطات المهمة في حياة المنسنيور باتيفول واعماله وآثاره. كان المؤلف قد نشرها في المجلة الجدلية (نيسان وايار ١٩٢٩) ، فاعاد فيها النظر ، وزاد عليها ذيلًا ببعض المستندات وباقوال المجلات الشهيرة في بعض مظاهر حياة الفقيد. يطالع القارئ كل هذا ، فيخرج منه وقد شعر بان المترجم من اولئك الكهنة الذين يحقّ لكنيسة فرنسة ان تفتخر بهم. ج. ل.

Thaddaeus Soiron O. F. M. : Das Evangelium und die heiligen Stätten in Palästina. *in*-16, 212 *pp. Paderborn, Verlag Ferdinand Schoening*, 1929. *Prix : 5 M.*

الانجيل والاماكن المقدسة في فلسطين

هو المجلّد الاول من مجموعة ذات اربعة مجلّدات يقوم بنشرهـا المؤلف بعنوان « الانجيل في فلسطين » يدرس فيها كل ما احاط بالحوادث المذكورة في الانجيل من المناظر الفلسطينية ، واخلاق السكان وعاداتهم ، وما اختصت به تلك البلاد من الحيوان والنبات . فاذا كانت الثلاثة المجلّدات الآتية بحجم الاول ووضوحه ، تكون المجموعة دون شكّ من افضل الموسوعات الصغيرة في الموضوع واسهلها استعمالاً . وقد زيّن المجلد باحدى وخمسين صورة متوسطة الطبع يمثّل بعضها حالة بعض الهياكل في وقتنا الحاضر كمعابد جبل الطور وجتسماني . والكتاب ، على الرغم مما فيه من الميل الكثير للاعتقاد بكل التقاليد الموضعية ، يظهر جزيل المنفعة لزوّار الارض المقدّسة ، ولمعلّمي الكتاب المقدس وطلابهم ، ولجميع الوعّاظ ب مورتد

J. Charbonneaux : L'art égéen. [*Bibliothèque d'histoire de l'art.*] 60 *pp. petit* 4°, 72 *planches phototyp. Les éditions G. van Oest*. 1929

الفن الايجي

لأول مرة يظهر هذا العمل الشامل باللغة الفرنسوية في موضوع الفنّ الايجي اي فنّ جزر بحر ايجه وشواطئه في العصر السابق لعصر الفنّ اليوناني (من سنة ٣٤٠٠ الى ١٢٠٠ ق. م.) وهو عصر الملك مينوس المشهور في الاساطير — وقد ظهر قصره على اثر الحفريات المهمة التي اجراها السير ارثور ايڤانس Evans منذ السنة ١٩٠٠ — وعصر اغاممنون وزملائه من ابطال الاغريق الاقدمين. اما مؤلف الكتاب السيد شربونو فقد قام بحفريات مهمة في مالية واقريطش، وكان عضواً في مدرسة اثينة، وهو اليوم معاون امين متحف اللوڤر. وقد بحث في قصور تلك الجزر وآثارها المكتشفة، وما عليها من النقوش والتصاوير الدقيقة الصنع كتماثيل «الالهات والحيّات»، ونقش «الامير وزهور الزنبق» وتصاوير «حامل الاناء» و «السعدان الازرق» و «الاسماك الطيارة» وغير ذلك، التي زيّنت قصور كنوسوس، وهاجيا - ترايادا، وفيلاكوپي. ثم درس آثار الصياغة كاكواب ڤافيو الشهيرة، والاسلحة المختلفة واغربها الفأس التي اكتشفها المؤلف نفسه وعليها صورة الفهد، وما شاكل من تلك الآنية المزخرفة بصور الاخطبوط وغيره من الحيوانات البحرية. وقد زيّن المجلد واتم فائدته الجزيلة بعدد من اللوحات صوّر فيها اكثر من ١٤٠ اثراً فنياً كان بعضها لم ينشر بعد.

Frank. L. Schoell : U. S. A. Du côté des Blancs et du côté des Noirs. *in*-12, 242 *pp. Prix* : 18 *fs. Paris, Champion*, 1929

من جهة البيض ومن جهة السود في الولايات المتحدة

من النادر ان ترى في الولايات المتحدة افرنسياً لا يكون مسافراً او استاذاً موقّتاً، او محاضراً ماراً. على ان شهادة ذاك الرجل قد لا تكون اقلّ قيمة من شهادات هؤلاء، خصوصاً اذا ما عرفنا انه اقام في الولايات

المتحدة عشر سنوات جال اثناءها في انحاء البلاد وراقب كثيرًا من الامور. مراقبة المقيم العارف بالبيئة الاجتماعية لا مراقبة المسافر المارّ المأخوذ بالظواهر. وترك في هذا الكتاب صفحات عديدة غاية في اللذة والفائدة عن الزنوج وانتشارهم ونهضتهم ، وعن عادات القوم الانتخابية ، وعن الجوالي الالزاسية ، والجالية الفرنساوية في لويزيانا. فظهر كتابه افضل تابع لكتاب اندري سيغفريد عن « الولايات المتحدة في عصرنا. » ج. ل.

A son Excellence Monseigneur F. Giannini *Impr. de S^t Paul* (*Harissa*) 1929

هي نشرة مصورة اصدرها باللغة الافرنسية حضرة الاب الياس اندراوس البولسي عنوانًا لافضال نيافة القاصد الرسولي فردينانو جيانيني . وفيها مع رقيم للاب الاقدس لمحة في حياة صاحب اليوبيل ، وذكرى رسائله الرعائية.

خمسة اعوام في شرقي الاردن

بقلم الارشمندريت بولس سلمان

٢٧٦ ص متوسطة – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٢٩ –

اقام حضرة الارشمنديت بولس سلمان خمسة اعوام في شرقي الاردن ، تسنى له ان يجوب في خلالها نواحي ذاك القطر فيدرس عن كثب احوال قبائله وعاداتها ، في الاخلاق والادب والقضاء والدين ، ويقابل بينها وبين العادات القديمة عند الجاهليين والعبرانيين وغيرهم من الامم القديمة مما دلّ على المام واسع في تاريخ الشعوب الشرقية . فكتب في ذلك كله مقالات قيمة نشرتها مجلة « المشرق » ، فاقبل عليها القراء من شرقيين ومستشرقين اقبالًا دفع حضرة المؤلف الى اعادة النظر فيها وجمعها في هذا السفر النفيس الذي يحتل مركزًا خاصًا في الابحاث الاجتماعية عن جيل العرب في عصرنا هذا ف. ا. ب.

المثالث والمثاني : الجزء الثاني

ديوان حليم دموس

٣٦٤ ص . متوسطة – ٢٠٥ صور – مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩٣٠

هو الجزء الثاني من ديوان حضرة الشاعر المعروف حليم دموس جمع فيه

الحولية الحادية والثلاثون : قصيدة وخطاب
المطبعة الكاثوليكية، بيروت

اهدى الينا حضرة الخوري الاسقفي بطرس حبيقه زهرة جديدة من زهور ادبه ، وهي تعبق بمديح البطريرك الماروني وتنم عن منزلته الرفيعة في القلوب . اطال الله حياة غبطته وحفظه ركناً للدين وللوطن .

* مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده ، شارع الفجالة ٥٣ ، مصر * هو عنوان كراس اصدره صاحب المكتبة المذكورة وفيه لائحة كتب عديدة اخصها في التاريخ والجغرافية ، والتراجم ، واللغة ، والادب ، والشعر والفلسفة ، والاخلاق ، وغير ذلك من الفنون المتنوعة .

* حياة المسيح لپاپيني * ترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير . مطبعة العرب للبستاني ، مصر — الجزء الاول . — سوف نعود الى وصف هذا الكتاب بعد قراءة الجزء الثاني منه ، ان شاء الله .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ كانون الثاني — ١٥ شباط

رومة والشرق

صدر عن البابا بيوس الحادي عشر رقيم سام الى نيافة القاصد الرسولي ، فريديانو جيانيني ، يعرب عن رضى قداسته وعطفه على ابناء الكنيسة في الشرق عموماً ، وعلى المرسلات والمرسلين خصوصاً ، لما اظهروه من المحبة والولاء لشخص نائب المسيح بارسالهم التقدمات الروحية والمادية باسمهم واسم المؤمنين المعهود اليهم امرهم في المدارس والمستشفيات والرسالات وسائر المشاريع الصالحة . وذلك الاثر الجليل هو من اواخر ما اتحفنا به الكردينال غسباري من الاعمال الرسمية ، لان الجريدة التي نشرت المرسوم المذكور بلغتنا ايضاً خبر قبول الاب الاقدس استقالة الكردينال غسباري ، واسناد الوزارة البابوية ، او امانة السر ، محله الى الكردينال باشلي المعتمد البابوي سابقاً في برلين . وُلد الوزير الجديد

سنة ١٨٧٦ ، فهو في عنفوان عمره وعز قواه ، وسوف يكون خير مساعد للبابوية على القيام بمهمتها الالهية في العالم ، وخاصة في شرقنا العزيز . ونحن في حاجة الى سلطة ابدية توحد مجهوداتنا وتجمع كلمتنا في مقاومة اعداء الدين ، والنكبات قد حلت بالكنائس : في الاستانة ، حيث سلب بطريرك الفنار لقبه التاريخي فلقب «باش باباس» ، وحرم السينودس حق الاتصال مع الخارج الا بواسطة الوزارة التركية ؛ في بلاد اليونان ، حيث حجزت الحكومة قسماً كبيراً من املاك بعض اديرة جبل آتوس ؛ في بلادنا ، حيث فئة من المسيحيين يخفقون بين الشام ولبنان طالبين لهم رئيساً ، كانهم لا يدركون ان كلمة واحدة من رئيس المسيحية الاكبر لأصوب مرمى واجزل منفعة واشرف وسيلة لهم للبلوغ الى مآربهم من تدخل الحكومة ، او رجال العلمانية في شؤون الكنيسة ؛ في بلاد المسكوب حيث بلغت الاضطهادات اقصاها واعلنت الحرب على الله عز وجل . ذلك ما ادى بالاب الاقدس الى مناشدة العالم المسيحي الصلاة من اجل روسية ، وسوف يقيم في ١٩ آذار على تلك النية ذبيحة القداس في كنيسة القديس بطرس في رومية .

ولما كانت تربية الناشئة الدينية اساساً لكل اصلاح ونهضة قومية ، ارسل الحبر الاعظم رسالة في ذلك الموضوع الى العالم كله ، وارسل رسالة اخرى مطرئاً فيها اساليب الرياضة الروحية كما اختطها القديس اغناطيوس دي لويولا ، وداعياً بها المسيحيين اجمعين الى ممارسة تلك الرياضات .

لبنان وسورية

اُغلقت بعض المدارس ، وحُصرت وسائل الاسعاف في مراكزها الكبرى ، وصُرف عدد وافر من الموظفين الغير الضروريين للمصلحة العامة ، فتوفرت بين يدي الحكومة اموال اخذت تستعملها في احياء الزراعة من غرس اشجار وتجديد نسل حيوانات ، والحث على اخصاب موارد الرزق من الصنائع ، ريثما يتسنى تحقيق مشروع الخط الحديدي ومرفأ بيروت وطرابلس . ومن اخبار وزارة النافعة عن الربع الاخير من عام ١٩٢٩ ان برنامج اعمال الشتاء الحالي يحتوي على اصلاح

٩٤ كيلومتراً من الطرق الكبرى ، و ١٠١ من الطرق المتفرعة. وقد خصص لها في الميزانية ٤٨٦٠٠٠ ل.س. وعُقد مؤتمر الحرير فاتى مشجعاً على العناية بهذا الصنف الجديد بان يعود على البلاد بالخير النافع . ومما لا تخفى اهميته من التجديدات المرسوم الاشتراعي في تنظيات الاحوال الشخصية في لبنان ، وتأسيس وظيفة قاضي القضاة للمسلمين من سنيين وشيعيين تكون بيده سلطة الحل والعقد ضمن منطقة لبنان . ونالت الوزارة رضى اللبنانيين في البلاد وفي المهجر على تدابيرها . لكنها لا تزال تجد بوجهها عقبة عليها ان تترقى مكايدها انما هي فئة بعض المعزولين عن وظائفهم المستعدين ان يضموا اصواتهم الى اصوات الشعب القلق المصطبغ بالوان التدين المراءي اثارةً للفتن . ولكن الدولة المنتدبة ساهرة على حفظ الامن والنظام. وان تظهر سحابة في الجو فلا مضرّة منها بعون الله . وربما انقلب اعداء الوزارة في لبنان وفي سورية مناصرين لها ، اذا ما ذاقوا اثمار اصلاحاتها . فتسلك من ثم الحكومة السورية مناهج الحزم والعزم والحكمة اقتفاء آثار حكومة لبنان . وهي في مسيس الحاجة الى النظام ، على الخصوص اذا عادت بلاد حلب وكررت طلبها باستقلالها عن الشام .

اما الحالة مع جيراننا الاتراك فقد تبعث الى الاطمئنان بعد المعاهدة الجديدة بين فرنسة وتركية خاصةً فيما يهم الحدود السورية الشمالية . وافتتح خط طوروس السريع الذي يصل خط سنبلون السريع بالقاهرة والبصرة .

مصر

عالجت جمعية الامم في جنيف في لجنة الافيون امر مكافحة المخدرات . ومعلوم ان مدمني المخدرات في مصر يزيدون كثيراً على نصف مليون شخص ، وفي جملتهم اطفال عمرهم ٦ سنوات ورجال عمرهم ٩٠ سنة. وقد تقع تبعة تلك المضرات على الدول المرخصة بصنع المخدرات والتجارة بها . على ان اتلاف محصول الحشيش كله في البلاد السورية قد نال ثناء جمعية الامم على معاونة الدولة الفرنسية في استئصال شأفة ذلك الداء الفتاك ف . ت .